التنبيهات اللطيفة

على ما احتوت عليه

العقيدة الواسطية

من المباحث المنيفة

تأليف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

المتوفى ١٣٧٦هـ رحمه الله

علق عليها

العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز

حفظه الله

ضبط نصها وخرج أحاديثها

علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

عفا الله عنه

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

التنبيهات اللطيفة

على ما احتوت عليه

العقيدة الواسطية

من المباحث المنيفة

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

هاتف: ٨٢٦٨٣٤٣- ص.ب: ١٨٦٥- الدمام- رمز
بريدي: ٣١٩٨٢- الدمام- جنوب الاستاد الرياضي-
المملكة العربية السعودية

التنبيهات اللطيفة

على ما احتوت عليه

العقيدة الواسطية

من المباحث المنيفة

تأليف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

المتوفى ١٣٧٦هـ رحمه الله

علق عليها

العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز

حفظه الله

ضبط نصها وخرج أحاديثها

علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

عفا الله عنه

دار ابن القيم

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن للعقيدة الإسلامية دوراً عظيماً ومهماً في بناء الأمة وتكوين الناس، وعليها تقوم الركائز الشرعية كلها، فإذا صحت العقيدة صح كل شيء، وإذا فسدت العقيدة فسد كل شيء.

ولقد كان للعقيدة في فجر الدعوة المنصب الأعلى والمحل الأسمى في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم، فتلقوها بيسر وسهولة، ودون تعقيد أو فلسفة!!

ثم خلف خُلوفٌ تنكبوا الصراط السَّوِيَّ، وخالفوا الطريق الحق، فأعملوا عقولهم فيما لا قبل لهم به، وأدخلوا أُنوفهم في مضائق السُّبُل، فانعكس ذلك عليهم، وارتد إلى صدورهم.

لما سبق - ولغيره أيضاً - صنف العلماء رحمهم الله تعالى المصنفاتِ والتواليفَ في تقرير التوحيد وتحقيق العقيدة.

وإن من أعظم أئمة الدين الذين تكلموا في العقيدة، وعاشوا من أجلها، وماتوا في سبيلها: شيخَ الإسلام وعَلَمَ الأعلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية النميري الحراني رحمه الله تعالى، فقد كان رحمه الله تعالى سيفاً صَلتاً على مُبتدعة عصره، فما كانوا يستطيعون أمامه حولاً، فإذا تكلم أحدهم في نشر بدعته قام عليه شيخ الإسلام كالإعصار يرده بالحجة ويقمعُه بالدليل، فأوغرت صدورهم عليه، فكادوا له، ومكروا به.. ودسوا عليه عقائد مُزَوَّرة، وأفكاراً باطلة، ليوقعوا به إلى السلطان، فكان أمرهم معه كما قال القائل:

ما عندهم عند التناظر حجة ... أنى بها لمقلد حيران
لا يفزعون إلى الدليل وإنما ... في العجز مفزعُهم إلى السلطان

وهكذا أهل البدع على مر الأعصار، وفي مختلف الأمصار!!

والرسالة التي بين يديك - أخي القارىء - تجمع عيون عقائد أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية - جعلنا الله جميعاً منهم بمنه وكرمه - كتبها شيخ الإسلام رحمه الله في مجلس واحد بعد العصر بناءً على طلب من بعض قضاة واسط[1]، وذلك بعد اقتحام المغولِ التتارِ العراقَ وبعض نواحيها، فعاثوا في الأرض الفساد، وقتلوا العباد.

وليس ذلك فحسب: بل عَمَدوا إلى تضليل الناس، وتشكيكهم في عقائدهم.

فكتب هذا القاضي الواسطي إلى شيخ الإسلام يشكو إليه ما الناس فيه من غلبة الجهل، وشدة الظلم، ودروس الدين، وشحّة العلم، وسأله أن يكتب له عقيدة! فلم يُوافق شيخ الإسلام - باديءَ ذي بدء -

(١) بلدة من أعمال العراق، «معجم البلدان» (٣٤٧/٥)، واسمه رضي الدين الواسطيّ كما في «العقود الدرية» (ص ٢١٠) لابن عبد الهادي.

واعترض قائلا: قد كتب الناس عقائد أئمة السُنَّة[1]! فألح قاضي واسط في طلبه، وكرر سؤاله قائلا للشيخ: ما أُحب إلا عقيدة تكتبها أنت!!

فكتب له الشيخ رحمه الله على نحو ما ذكرت قَبْلُ.

ثم انتشرت هذه «العقيدة» لسهولتها، ويسرها، وكتب الله سبحانه لها القَبول بين العباد، والانتشار في البلاد، وعرفت - من يومئذ - بـ «العقيـدة الواسطيّة» نسبة إلى ذاك القاضي الواسطي الذي كان سبباً في تصنيف هذه «العقيدة»[2].

ولقد طُبِعت «العقيدة الواسطية» طبعات كثيرة مختلفة، القليل منها ما كان إلى الجودة أقرب، والنادر منها ما كان لائقاً بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومصنَّفاته.

ولهذه «العقيدة» شروح كثيرة - وتعليقات وفيرة، من أحسنها وأعمقها هذا الكتاب الذي بين يديك - أخي القارىء -

وإننا في هذه الطبعة لهذا الكتاب المبارك، قد بذلنا جهداً لا يعرف قدره إلا من وقف على طبعته الأولى المشحونة بالتصحيفات والتحريفات والأخطاء المطبعية في الأحـاديث حتى الآيات!

وكذلك قمت بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في هذه الرسالة وعزوها إلى مصادرها الأصيلة ثم الحكم عليها بما تقتضيه الصناعة الحديثية وقواعد أهل الحديث.

---

(١) كالإمام أحمد وابنه عبدالله، واللالكائي، وابن نصر، والطبري، وغيرهم من أئمة السنة.

(٢) إذا عرفت ذلك ينكشف لك سر نسبة كثير من العقائد، إما إلى أشخاص وإما الى بلدان، مثل «التدمرية» أو «الطحاوية» وغيرها، فهي تنسب إما إلى مصنفها، أو إلى من كان سبباً فيها، أو من ترسل اليه وهكذا فتذكّر.

ثم علقت على ما لا بد منه من التعليق عليه، مُقِلاً لا مُستكثراً، ولو أردت الإطالة في التعليق لتضاعف حجم الرسالة.

وهذا الجهد كله، وهذا العمل العلمي كله لم يكن بهذه الصورة إلا على كتاب مثل هذا، وبخاصة أنه موشى بتعليقات وشروح علامة القصيم الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي[1] المتوفى سنة (١٣٧٦ هـ) رحمه الله وغفر الله له، إضافة الى تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله[2].

وأخيراً:

رحم الله أئمتنا الماضين، وعلماءنا السابقين، فلم يألوا جهداً، ولم يدخروا وسعاً في سبيل إرساء قواعد العقائد، وتثبيت أركانها في النفوس، علماً وعملا، دعوة وجهاداً، درساً وتدريساً، تأليفاً وتصنيفاً.

فاللهم نسألك أن تسلكنا سبيلهم، وتتبعنا طريقهم، وتلحقنا بهم على خير يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو الحارث الحلبيّ الأثري

علي حسن علي عبد الحميد

عفا الله عنه

بمنّه وكرمه.

---

(١) وله ترجمة موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» (٤٢٢/٢) للبسّام.

(٢) وقد أشرنا الى تعليقاته بحرف (ز).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمدُ للهِ الموصوفِ بصفات العَظَمةِ والكبرياءِ والكَمَالِ، المُنَزَّهِ عن الشريكِ والنقصِ والشَبهِ والمِثَالِ.

وأشهدُ أنّه المُنْفَرِدُ بالوحدانيةِ المستحقُّ لافرادهِ بالعبوديةِ في كُلِّ الأحوال.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في العقائد والأخلاق والأقوال والأفعال.

أما بعد:

فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ «الواسطية» التي جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني، تحتاج إلى تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتبين وجهَ دلالتها على المقصود؛ وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج إلى التنبيه عليه.

وأرجو الله أن يكون هذا التعليق على هذا الوصف وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم مقرباً إليه نافعاً، سهلاً في ألفاظه ومعانيه.

مقدمة المصنف

قال المصنف رحمه الله: (**الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً**).

الحمد لله أي أن جميع أوصاف الكمال ثابتة لله على أكمل الوجوه وأتمها، ومما يحمد عليه نِعَمُهُ على العباد التي لا يُحصي أحد من الخلق تعدادها، وأعظمُها ارساله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بالهدى الذي هو العلم النافع ودين الحق الذي هو العمل الصالح ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان وبالعز والسلطان، وكفى بالله شهيداً على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به، وشهادتُه تعالى بقوله وفعلُه وتأييدهُ لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة الدال كل واحد منها - فكيف بجميعها - على رسالته وصدقه، وأن جميع ما جاء به هو الحق من عقائد وأخلاق وآداب وأعمال وغيرها.

(**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً**).

أي: أُقِرُّ وأعترف مصدقاً ومعتقداً أنه لا يستحق الألوهية وهي التفرد بكل كمال إلا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له.

ولهذا قال: إقراراً به، أي بالقلب واللسان وتوحيداً، أي: إخلاصاً لله في كل عبادة قولية أو عملية أو اعتقادية، وأعظم ما يوحد به

ويتقرب إليه به تحقيق العقيدة السلفية، المحتوي عليها هذا الكتاب وبتحقيق العقيدة تصلح الأعمال وتقبل وتستقيم الأمور.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً).

الشهادة للرسول بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد لا تكفي إحداهما عن الأخرى ولا بد فيها من اعتراف العبد بكمال عبودية النبي ﷺ لربه وكمال رسالته المتضمنة لكماله صلى الله عليه وسلم وأنه فاق جميع البشر في كل خصلة كمال ولا تسمى شهادة حتى يُصدِّقه العبد في كل ما أخبر ويطيعه في كل ما أمر وينتهي عما نهى عنه.

وبهذه الأمور تتحقق الشهادة لله بالتوحيد، وللرسول بالرسالة.

ثم قال المصنف:

(أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية[1] المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره).

يقول المصنف رحمه الله: إن ما احتوت عليه هذه الرسالة هو العقيدة المنجية من الهلاك والشرور، الـمُحصّلة لخيري الدنيا والآخرة الموروثة عن محمد ﷺ المأخوذة عن كتاب الله وسنة رسوله، وهي التي عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة الذي ضمن الله لهم على لسان رسوله النصر إلى قيام الساعة.

---

(١) قول الفرقة الناجية: «أهل السنة والجماعة» في الأسماء والصفات: هو إثبات ما جاء في القرآن العظيم والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلال الله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل عملاً بقول الله تعالى: ﴿ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ فنفى عن نفسه المماثلة وأثبتَ السمع والبصر فدل ذلك على أن مُرادَه سمعٌ وبصرٌ لا يماثلان أسماع الخلق وأبصارهم (ز).

والنصر إنما حصل لهم ببركة هذه العقيدة والعمل بها وتحقيقها بالقيام بجميع أمور الدين.

وأصلها الذي تبنى عليه: هي الإيمان بهذه الأصول الستة التي صرح بها الكتاب والسنة في مواضع كثيرة جملة وتفصيلا، وتأصيلا وتفريعاً وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور[1] حين قال جبريل للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ فأجابه.

فهذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الأصول الستة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/١١٤) و(٨/٥١٣) عن أبي هريرة.
وأخرجه مسلم (١/٣٦ - ٣٨) والترمذي (٢٦١٠) وابن ماجه (٦٣) والنسائي (٨/٩٧ - ١٠١) وأبو داود (٤٦٩٥) عن عمر.

١ - فصل

[الصفات]

في الأصل الأول وهو أصل الأصول كلها وأعظمها وأهمها وعليه تنبني جميع الأصول والعقائد وهو: الإيمان بالله.

قال المصنف رحمه الله:

(ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف(١) ولا تعطيل(٢) ولا تكييف(٣) ولا

---

(١) التحريف: معناه تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها كقول الجهمية في «استوى»: استولى، وكقول بعض المبتدعة أن معنى الغضب في حقِّ الله إرادة الانتقام، وأن معنى «الرحمة» كذلك إرادة الإنعام وكل هذا تحريف.

فقولهم في: استوى: استولى، من تحريف اللفظ، وقولهم: الرحمة إرادة الإنعام، والغضبُ إرادة الانتقام من تحريف المعنى، والقول الحق ان معنى الاستواء الارتفاع والعلو كما هو صريح لغة العرب وجاء به القران ليدُلَّ على أنه معناه الارتفاع والعلو على العرش على وجه يليق بجلال الله وعظمته وكذا الغضب والرحمة صفتان حقيقيتان تليقان بجلال الله وعظمته كسائر الصفات الواردة في القرآن والسنة. (ز).

(٢) التعطيل معناه: سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى وهو مأخوذ من قولهم: جِيدٌ مُعَطَّلٌ أي خال من الحليّ، فالجهمية وأشباههم قد عطلوا الله عن صفاته فلذلك سموا بالمعطلة، وقولهم هذا من أبطل الباطل إذ لا يعقل وجود ذات بدون صفات، والقرآن والسنة متضافران على إثبات هذه الصفات على وجه يليق بجلال الله وعظمته (ز).

(٣) التكييف معناه: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات فلا يقال: كيف استوى؟ كيف=

تمثيل[1] بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته ولا يُكَيِّفون ولا يُمَثِّلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كُفُو له ولا يُقَاس بخلقه سبحانه.

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه:

﴿ سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات، آية ١٨٠]

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب).

ذكر المصنف رحمه الله هذا الأصل والضابط العظيم في الإيمان بالله إجمالا قبل أن يشرع في التفصيل ليبني العبد على هذا الأصل جميع ما يرد عليه من الكتاب والسنة فيستقيم له إيمانه ويسلَمُ من الانحراف.

= يده؟ كيف وجهُه؟ ونحو ذلك إذ القولُ في الصفات كالقول في الذات يحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما أنّ له ذاتاً ولا نعلم كيفيتها فكذلك له صفات ولا نعلم كيفيتها إذ لا يعلم ذلك إلا هو مع إيماننا بحقيقة معناها. (ز).

(١) أما التمثيل فمعناه: التشبيه، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا، أو شبه ذواتنا، وهكذا، فلا يقال في صفاته: إنها مثل صفاتنا أو شبه صفاتنا، بل على المؤمن أن يلتزم قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ و﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ والمعنى لا أحد يساميه أي يشابهه.

فائدة: ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: اذا قال لك نؤوّل معنى الغضب إرادة الانتقام، والرحمة إرادة الإنعام فقل: وهل هذه الإرادة تشبه إرادة المخلوق، أم أنها إرادة تليق بجلاله وعظمته؟ فان قال الأول فقد شبه، وإن قال الثاني فقل: ولم لا تقل: رحمة وغضب يليقان بجلاله وعظمته، وبذلك تَحُجُّه وتَخْصِمُهُ. (ز).

فذكر أنه يجب ويتعين الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ إيماناً صحيحاً سالماً من التحريف والتعطيل، وسالماً من التكييف والتمثيل، بل يثبت ما أثبته الله ورسوله ولا يزيد على ذلك ولا يُنْقِص، فإن الكلام على ذات الباري وصفاته واحدٌ فكما أن لله ذاتاً لا تشبه الذوات فله تعالى صفات لا تشبهها الصفات، فمن مال إلى نفي الصفات أو بعضها فهو نافٍ مُعَطِّلٌ مُحَرِف، ومن كيفها أو مثلها بصفات الخلق فهو مُمَثِّلٌ مُشَبِّه.

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. والتحريف: تفسير للنصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه.

فالتحريف والتعطيل قد يكونا متلازمين إذا أُثْبِتَ المعنى الباطل، ونفي المعنى الحق، وقد يوجد التعطيل بلا تحريف كما هو قول النافين للصفات الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسنة ويقولون: ظاهرها غير مراد! ولكنهم لا يعينون معنى آخر، ويسمون أنفسهم مفوضة ويظنون أن هذا مذهب السلف وهو غلط فاحش[1]، فإن السلف يثبتون الصفات، وإنما يفوضون علم كيفيتها إلى الله، فيقولون الوصف المذكور معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب وإثباته واجب، والسؤال عن كيفيته بدعة، كما قال الإمام مالك[2] وغيره[3] في الاستواء.

---

(١) وقد فصّلنا الكلام على تغليطهم، وكَشْف عُوار مذهبهم في كتابنا «عقيدتنا قبل الخلاف وبعدَه» بالاشتراك مع الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم شقرة.

(٢) أخرجه اللاّلكائي في «شرح أصول السنة» (رقم: ٦٦٤) وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (٢٥) وأبو نُعيم في «الحلية» (٣٢٥/٦).
وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٠٧/١٣).

(٣) وأخرج اللالكائي في «السنة» (رقم: ٦٦٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٨) والذهبي في «العلوّ» (ص٩٨) من طُرُق عِدَّة عن ربيعة شيخ مالك.
وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٢٧).

وأما قوله: من غير تكييف ولا تمثيل، فالفرق بينهما أن:

التكييف: هو تكييف صفات الله والبحث عن كنهها.

والتمثيل: أن يقال فيها مثل صفات المخلوق.

ونفي الكفؤ والند والسمي ينفي ذلك التكييفَ والتمثيلَ.

وقل مثله في «السميع» و «البصير» ونحوها من إثبات أسماء الله وصفاته تنفي التعطيل والتحريف.

فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه.

والمعطل ينفيها أو ينفي بعضها، وضده المُمَثّل فهو يُثْبِتُها على وجهٍ يليق بالمخلوقِ.

ونصوص الكتاب والسنة التي يتعذر إحصاؤها كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل، وهو إثبات الصفات على وجه الكمال الذي لا يشبهه كمال أحد، وهي في غاية الوضوح والبيان وأعلى مراتب الصدق.

فإن الكلام إنما يقصر بيانُه ودلالتُه لأمورٍ ثلاثة:

إما جهل المتكلم وعدم علمه وقصوره.

وإما: عدم فصاحته وبيانه.

وإما كذبه وغشه.

أما نصوص الكتاب والسنة فإنها بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه.

فكلام الله ورسوله في غاية الوضوح والبيان وفي غاية الصدق كما قال:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النساء، آية ١٢٢]

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾.

[سورة النساء، آية ٨٧]

ونظيره قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، آية ٣٣]

والرسول ﷺ في غاية النصح والشفقة العظيمة على الخَلْق، وهو من أعلم الخَلق وأصدقهم وأفصحهم، وأنصح الخَلْقِ للخَلْق، وهل يُمكن أن يكون في كلامه شيء من النقص أو القصور؟ بل كلامه هو الغاية التي ليس فوقها غاية في الوضوح والبيان للحقائق.

وهذا برهان على أن كلام الله وكلام رسوله يوصل إلى أعلى درجات العلم واليقين، والله يقول [الحق] وهو يهدي إلى [سواء] السبيل.

والحق النافع هو ما اشتمل عليه كلام الله وكلام رسوله في جميع الأبواب، لا سيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها.

وهذا معنى قول المصنف في إيراده للآية الكريمة:

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: [سورة الصافات، آية ١٨٠]

فسبح نفسه عما قاله المخالفون للرسل وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، أي: قال: الحمد لله رب العالمين لدلالة الحمد على الكمال المطلق من جميع الوجوه.

(وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي[1] والإثبات، فلا عدول لأهل السنة عما جاءت به المرسلون، فإنه

(١) طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته: الإثبات المفصل والنفي المُجْمَلُ، فقد جمع فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي المجمل، مثل قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، ﴿لم =

الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين).

هذا الذي ذكر المصنف ضابط نافع في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين: أحدهما النفي، وثانيهما الإثبات:

أما النفي: فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضاً أن يكون له شريك أو نديد أو شبيه في شيء من صفاته أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما ينافي صفات الكمال فإن الله منزه عنه مُقَدَّس.

والنفي مقصود لغيره، والقصد منه إثبات ما لم يرد نفي شيءٍ منه في الكتاب والسنة عن الله إلا بقصد إثبات ضده، فنفي الشريك والنديد عن الله لكمال عظمته وتفرده بالكمال، ونفي السِّنَةِ والنوم والموت لكمال حياته، ونفي عُزوب شيءٍ عنه لعلمه وقدرته.

ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

وأما الإثبات: فإنه يجمع الأمرين: إثبات المجملات: كالحمد المطلق والكمال المطلق والمجد المطلق ونحوها، وإثبات المفصلات: كتفصيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته ونحو ذلك من صفاته.

= **يكن له كفواً أحد﴾**، **﴿هل تعلم له سَمِيًّا﴾** وكذلك قوله عليه السلام في حديث أبي موسى: «**إنّكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائباً**»[1] في حكم النفي المجمل، لأَنَّ الصمم والغيبة تتضمَّنان نفي نقائص كثيرة تلْزَم من صفتي الصمم والغيبة، لأن الأصم هو الذي لا يسمع ولا يصلح أن يكون إلهاً لهذا النقص العظيم الذي يلزم منه عدم سماع دُعاء الداعين، وأصوات المحتاجين وغير ذلك من النقائص كما أن الغيبة يلزم منها عدم اطلاعه على أحوال عباده وعدم علمه بما ينبغي أن يعاملهم به ونحو ذلك. (ز).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣/٧) ومسلم (٢٧٠٤) عنه.

فأهل السنة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت لهم النعمة، وصحت عقائدهم، وكَمُلَت أخلاقهم، أما من سلك غير هذا السبيل، فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه.

(وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن[1] حيث يقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

[سورة الإخلاص]

هذا شروع في تفصيل النصوص الواردة في الكتاب والسنة الداخلة في الإيمان بالله، وأنه يجب فيها إثباتها ونفي التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل عنها، فثبت عنه صلى الله عليه وسلم في «**الصحيح**»[2] إن هذه السورة «**تعدل ثلث القرآن**» وذلك كما قال

---

(١) وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: أن القرآن خبر وانشاءٌ، والخبر ينقسم في كلام الله إلى قسمين: خبر عن الله وعن أسمائه وصفاته، وخبر عن خلقه من الجنة والنار وأشراط الساعة وجميع ما تضمنه الكتاب من وعد ووعيد، ومما كان أو سيكون.
وهذه السورة تمحَّضت للخبر عن الله سبحانه، فكانت ثلث القرآن بهذا الاعتبار.

ولقد دلت هذه السورة على أصول عظيمة يُستفاد منها إثبات جميع صفات الكمال لله، ونفي جميع صفات النقائص والعيوب.

كما دلت على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الذات والصفات وذلك على سبيل المطابقة. وعلى توحيد الربوبية وذلك على طريق التضمن وتوحيد العبادة بالالتزام.

إذ إن دلالة الشيء على كل معناه يسمى مطابقة ودلالته على بعضه يسمّى تضمناً، وعلى ما يلزم من جهة الخارج ويسمى التزاماً. (ز).

(٢) رواه البخاري (٩/٥٣) عن أبي سعيد، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء.

أهل العلم: إن القرآن يحتوي على علوم عظيمة كثيرة وهي ترجع إلى ثلاثة علوم:

أحدها: علوم الأحكام والشرائع الداخل فيها علوم الفقه كلها عبادات ومعاملات وتوابعها.

الثاني: علوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يجازي بها العاملون على ما يستحقون من خير وشر، وبيان تفصيل الثواب والعقاب.

الثالث: علوم التوحيد وما يجب على العباد من معرفته والإيمان به، وهو أشرف العلوم الثلاثة.

وسورة الإخلاص كفيلة باشتمالها على أصول هذا العلم وقواعده.

فإن قوله: ﴿**الله أحد**﴾ اي: الله متفرد بالعظمة والكمال، ومتوحد بالجلال والجمال والمجد والكبرياء، يحقق ذلك قوله: ﴿**الله الصمد**﴾ أي الله السيد العظيم الذي قد انتهى في سؤدده ومجده وكماله، فهو العظيم الكامل في عظمته، العليم الكامل في علمه، الحكيم الكامل في حكمه، فهو الكامل في جميع نعوته وأسمائه وصفاته.

ومن معاني الصمد أنه الذي تصمد اليه الخلق كلها، وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها، فهو المقصود، وهو الكامل المعبود.

فإثبات الوحدانية لله ومعاني الصمدية كلها يتضمن إثبات تفاصيل جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فهذا أحد نوعي التوحيد وهو الإثبات، وهو أعظم النوعين.

والنوع الثاني: التنزيه لله عن الولادة والند والكفو والمثل، وهذا داخل في قوله: ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾: أي: ليس

له مكافىء ولا مماثل ولا نظير، فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السورة بأن نزه الله وقدسه عن كل نقص وند وكفؤ ومثيل، وشهد بقلبه انفراد الرب بالوحدانية والعظمة والكبرياء وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الإسمين الكريمين وهما الأحد الصمد، ثم صمد إلى ربه وقصده في عبوديته وحاجته الباطنة والظاهرة، متى كان كذلك تمّ له التوحيد العِلْمِي الاعتقادي، والتوحيد العَمَلي، فحق لسورة تشتمل على هذه المعارف أن تعدل ثلث القرآن.

[قال المصنف:]

(ودخل في ذلك ما وصف به نفسه في أعظم آية من القرآن حيث يقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة البقرة، آية ٢٥٥]

ولهذا «من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»[١]، وذلك لاشتمالها على أجل المعارف وأوسع

(١) صح نحو هذا مرفوعاً، علقه البخاري (٣٢٧٥) عن أبي هريرة، ووصله النسائي في «عمل اليوم» (رقم: ٩٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (١٠٧/٧) بسند صحيح.

وانظر تفصيل رواياتهم في «تغليق التعليق» (٢٩٦/٣) للحافظ ابن حجر، وقارن بـ«الدر المنثور» (١٣/٢).

الصفات، فأخبر أنه المتوحد في الألوهية المستحق لإخلاص العبودية، وأنه الحي الكامل كمال الحياة،وذلك يقتضي كمال عزته، وقدرته، وسَعَة علمه، وشُمولَ حكمته، وعموم رحمته، وغيرها من صفات الكمال الذاتية، وأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، وقام بالموجودات كلها فخلقها وأحكمها ورزقها ودبَّرها وأمدَّها بكل ما تحتاج إليه.

وهذا الإسم يتضمن جميع الصفات الفعلية، ولهذا ورد أن الحي القيوم هو الإسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى[1]، بدلالة «الحي» على الصفات الذاتية و«القيوم» على الصفات الفعلية، والصفات كلها ترجع إليهما.

ومن كمال قيوميته وحياته أنه لا تأخذه سِنَةٌ - وهي النعاس - ولا نوم، ثم ذَكَرَ عُمومَ ملكه للعالم العُلويِّ والسُّفلي.

ومن تمام ملكه أن الشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ففيها ذكر الشفاعة التي يجب إثباتها وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى.

والشفاعة المنفية التي يعتقدها المشركون وهي ما كانت تطلب من غير الله وبغير إذنه فمن كمال عظمة الله أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، وبيّن أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ثم ذكر سعة علمه فقال: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهم**﴾ أي: علمه محيط بالأمور الماضية والمستقبلة فلا يخفى عليه منها شيء وأما الخلق فلا يحيطون بشيء من علم الله لا قليل ولا كثير إلا بما شاء أن يُعْلِمَهُمُ الله على ألسنة رُسُله وبطرق وأسباب متنوعة.

---

(١) رواه النسائي (٥٢/٣) وأبو داود (٩٨٥) وأحمد (٣٣٨/٤) عن أنس، وسنده حسن.

﴿وسع كرسيه﴾: قيل: إنه العرش، وقيل: إنه غيره[1]، وأنه كرسي بلغ من عظمته وسعته أنه وَسِعَ السموات والأرض. ومع ذلك فلا يَؤُودُه أي: لا يثقله ولا يكربُهُ - حفظهما - أي: حفظ العالم العُلويّ والسُفليّ - وذلك لكمال قُدرته وقُوّته.

وفيها بيان لعظيم نعمة الله على الخلق إذ خلق لهم السموات والأرض وما فيهما وحَفِظَهما وأسكنهما عن الزوال والتَّزَلْزُل وجعلهما على نظام بديع جامع للأحكام والمنافع المُتعَدِّدة التي لا تحصى وهو ﴿العلي﴾ الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

علوّ الذات بكونه فوق جميع المخلوقات على العرش استوى.

وعلو القدر: إذ ان له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

﴿العظيم﴾ الذي له جميع أوصاف العظمة والكبرياء وله العظمة والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه الذي لا أعظَمَ منه ولا أجَلَّ ولا أكبر فحقيق بآية تحتوي على هذه المعاني الجميلة أن تكون أعظم آيات القرآن[2]، وأن يكون لها من المنع وحفظ قارئها من الشرور والشياطين ما ليس لغيرها.

---

(١) وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أن «الكرسي موضع القدمين، لا يُقَدّر أحد قدره» رواه عنه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (رقم:٦١) وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على بشر المريسي» (ص ٧١و٧٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠٧-١٠٨) بسند حسن.

وصحّ مثله عن أبي موسى، رواه ابن أبي شيبة (رقم: ٦٠) والبيهقي في «الأسماء» (٥١٠) وابن جرير (٣/ ٧) وسنده جيد.

(٢) كما صح عن أُبي بن كعب أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلتُ: ﴿اللهُ لا إِلٰه إِلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم﴾ [سورة البقرة، آية ٢٥٥] فضرب في صدري، وقال: «لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر».
أخرجه مسلم (رقم: ٨١٠) عنه.

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة الحديد، آية ٣]

قد فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بتفسير مختصر جامع واضح حيث قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شي»[1].

وهذا يدل على كمال عظمته وأنه لا نهاية لها، وبيان إحاطته من كل وجه، ففي «الأول والآخر» إحاطته الزمانية، وفي «الظاهر والباطن» إحاطته المكانية.

ثم صرح بإحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة ومن العالم العُلويّ والسُفليّ، ومن الظواهر والبواطن والواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقوله:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾

[سورة الفرقان، آية ٥٨]

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[سورة الشورى، آية ٤]

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٧١٣) والترمذي (٣٣٩٧) وأبو داود (٥٠٥١) وأحمد (٣٨١/٢ و ٤٠٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٤ و ٢٢٦) من حديث أبي هريرة.

وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨/٨) نسبته لابن أبي شيبة وابن مردويه.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾. [سورة سبأ، الآيات ١ - ٢]

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ﴾

[سورة الأنعام، آية ٥٩]

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾

[سورة فاطر، آية ١١]

﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾

[سورة الطلاق، آية ١٢]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

[سورة الذاريات، آية ٥٨]

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[سورة الشورى، آية ١١]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾

[سورة النساء، آية ٥٨]

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾

[سورة الكهف، آية ٣٩]

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢٥٣]

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

[سورة المائدة، آية ١]

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾

[سورة الأنعام، آية ١٢٥]

﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة البقرة، آية ١٩٥]

﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

[سورة المائدة، آية ٤٢]

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة التوبة، آية ٧]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[سورة التوبة، آية ١٠٨]

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

[سورة آل عمران، آية ٣١]

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

[سورة المائدة، آية ٥٤]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

[سورة الصف، آية ٤]

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾

[سورة البروج، آية ١٤]

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

[سورة النمل. آية ٣٠]

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾

[سورة غافر، آية ٧]

﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب، آية ٤٣]

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأعراف، آية ١٥٦]

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

[سورة الأنعام، آية ٥٤]

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[سورة يونس، آية ١٠٧]

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[سورة يوسف، آية ٦٤]

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾

[سورة المائدة، آية ١١٩]

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾

[سورة النساء، آية ١٩٣]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾

[سورة محمد، آية ٢٨]

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾

[سورة الزخرف، آية ٥٥]

﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾

[سورة التوبة، آية ٤٦]

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة الصف، آية ٢]

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢١٠]

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾

[سورة الأنعام، آية ١٥٨]

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾

[سورة الفجر، آية ٢١]

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾

[سورة الفرقان، آية ٢٥]

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

[سورة الرحمن، آية ٢٧]

﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾

[سورة القصص، آية ٨٨]

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾

[سورة ص، آية ٥٧]

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [سورة المائدة، آية ٦٤]

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾
[سورة الطور، آية ٤٨]

﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾
[سورة القمر، آية ١٣]

﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾
[سورة طه، آية ٣٩]

﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾
[سورة آل عمران، آية ١٨١]

﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة، آية ١]

﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾

[سورة الزخرف، آية ٨٠]

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

[سورة طه، آية ٤٦]

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾

[سورة العلق، آية ١٤]

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

[سورة الشعراء، آية ٢١٨]

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة التوبة، آية ١٠٥]

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾

[سورة الرعد، آية ١٣]

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران، آية ٥٤]

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾

[سورة النمل، آية ٥٠]

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾

[سورة الطارق، آية ١٦]

﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾

[سورة النساء، آية ١٤٩]

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة النور، آية ٢٢]

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾

[سورة المنافقون، آية ٨]

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[سورة ص، آية ٨٢]

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

[سورة الرحمن، آية ٧٨]

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾

[سورة مريم، آية ٦٥]

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

[سورة الإخلاص، آية ٤]

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢٢]

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

[سورة البقرة، آية ١٦٥]

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾

[سورة الإسراء، آية ١١١]

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة التغابن، آية ١]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ

﴿ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، آية ١]

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

[سورة المؤمنون، آية ٩١]

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[سورة الأعراف، آية ٣٣]

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل، آية ٧٤]

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

[سورة الاعراف، آية ٣٣]

وقوله:

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾

[سورة طه، آية ٥]

---

(١) وجهُ سياق هذه الآية ضمن اثبات آيات الصفات للدلالة على أنّ القول على الله بلا علم من أعظم المحرّمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في هذه الآية من الأدنى إلى الأعلى، والقولُ على الله بلا علم يشمل القول عليه في أحكامه وشرعه ودينه كما يشمل القول عليه في أسمائه وصفاته وهو أعظم من القول عليه في شرعه ودينه، فسياق الآية الكريمة هنا للتنبيه على هذا، والله أعلم. (ز).

في سبعة مواضع من القرآن[1]، وقوله:

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

[سورة آل عمران، آية ٥٥]

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾

[سورة النساء، آية ١٥٨]

﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾

[سورة فاطر، آية ١٠]

﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾

[سورة غافر، آية ٣٧]

﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾

[سورة الملك، آية ١٧]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [سورة الحديد، آية ٤]

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم

(١) وهي على الترتيب: الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

﴿ ... بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة، آية ٧]

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾

[سورة التوبة، آية ٤٠]

﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه، آية ٤٦]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[سورة النحل، آية ١٢٨]

﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[سورة الانفال، آية ٤٦]

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢٤٩]

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾

[سورة النساء، آية ٨٧]

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾

[سورة النساء، آية ١٢٢]

﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾

[سورة المائدة، آية ١١٠]

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾

[سورة الانعام، آية ١١٥]

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

[سورة النساء، آية ١٦٤]

﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢٥٣]

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾

[سورة الأعراف، آية ١٤٣]

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾

[سورة مريم، آية ٥٢]

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[سورة الشعراء، آية ١٠]

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾

[سورة الأعراف، آية ٢٢]

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

[سورة القصص، آية ٦٥]

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾

[سورة التوبة، آية ٦]

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾

[سورة البقرة، آية ٧٥]

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾

[سورة الفتح، آية ١٥]

﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾

[سورة الفتح، آية ١٥]

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾
[سورة الكهف آية ٢٧]

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾
[سورة النمل، آية ٧٦]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾
[سورة الأنعام، آية ٥٥]

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾
[سورة الحشر، آية ٢١]

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
[سورة النحل، آية ١٠١]

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
[سورة النحل، آية ١٠٢]

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾
[سورة النحل، آية ١٠٣]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾
[سورة القيامة، آية ٢٢]

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾

[سورة المطففين، آية ٢٣]

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾

[سورة يونس، آية ٢٦]

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

[سورة ق، آية ٣٥]

وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالباً الهدى منه تبين له طريق الحق).

ذكر المصنف رحمه الله في هذا الموضوع عدة آيات، وكلها داخلة في الإيمان بالله، ويتضح معناها عموماً وخصوصاً بذكر أصول وضوابط نوضحها فيما يأتي:

منها: إن هذه النصوص القرآنية تنطبق عليها القاعدة المتفق عليها بين السلف وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات وما نشأ عنها من الأفعال، مثال ذلك: القدرة، يجب علينا الإيمان بأنه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرة الله، والإيمان بأن قدرته شاملة لجميع الكائنات، وبأنه عليم ذو علم محيط، وأنه يعلم الأشياء كلها.

وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط كما في هذه الآيات التي ذكر المصنف من الأسماء الحسنى، فإنها داخلة في الإيمان بالله وما فيها من ذكر الصفات، مثل عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته وإرادته ومشيئته وكلامه وأمره وقوله ونحوها، فإنها داخلة في الإيمان بالله، وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقيدة مثل ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ويعلم كذا وكذا، ويحكم ويريد، وَسِعَ ويسمع، ويرى ورأى، وقال ويقول، وكلّم ويكلم، ونادى وناجى ونحوها من الأفعال، فإنها داخلة في الإيمان بأفعاله تعالى.

فعلى العبد الإيمان بكل ذلك إجمالا وتفصيلا وإطلاقاً وتقييداً على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، وأن يعلم أن صفاته لا تشبهها صفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين.

ومن الأصول المتفق بين السلف التي دلت عليها هذه النصوص أنّ صفـات الباري قسمان:

صفات ذاتية: لا تنفك عنها الذات كصفة الحياة، والعلم، والقدرة والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، ونحوها كالعلو المطلق.

وصفات فعليّة: تتعلق بها أفعاله في كل وقت وآن وزمان، ولها آثارها في الخلق والأمر، فيؤمنون بأنه تعالى فعّال لما يريد وأنه لم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور وأن أفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمه وإرادته، فإن شرائعه وأوامره ونواهيه الشرعية لا تزال تقع شيئاً فشيئاً.

وقد دل على هذا الأصل الكبير ما في هذه النصوص من ذكر (قال) و(يقول) و(سمع) و(يسمع) و(كلم) و(يكلم) و(نادى) و(ناجى) و(عَلِم) و(كتب) و(يكتب) و(جاء) و(يجيء) و(أتى) و(يأتي) و(أوحى) و(يُوحي) ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مقيدة بأوقاتها كما سمعت في هذه النصوص المذكورة آنفاً.

وهذا من أكبر الأصول وأعظمها.

ولقد صنف فيه المؤلف مصنفاً مستقلا وهو المسمى بالأفعال الاختيارية(١).

فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والقول، ونحوها، والمتعلقة بخلقهِ كالخَلْقِ والرِّزق وأنواع التدبير.

ومن الأصول الثابتة في الكتاب والسنة المتفق عليها بين السلف التفريق بين مشيئة الله وإرادته وبين محبته.

فمشيئة الله وارادته الكونية تتعلَّق بكلٍّ موجود محبوب لله وغير محبوب، كما ذُكر في هذه الآيات أن الله يفعل ما يُريد(٢) وما يشاءوإذا

---

(١) وقد أشار إليه تلميذه ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» (ص٥٢).

(٢) من أصول اهل السنة والجماعة إثبات مشيئة الرب العامة، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لا يكون، كما أن من أصولهم الثابتة إثبات صفة الإرادة وهي قسمان:

إرادة كونية قدريّة، كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مُرادها شيء كالمشيئة، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال كلها بمشيئة الرب وإرادته الكونية.

وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ومَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ الآية، وقوله: ﴿إنَّما أَمْرُهُ إذا أرَادَ شَيْئاً أنْ يقُولَ له كُن فيكون﴾ وقوله: ﴿إن ربَّكَ فَعَّال لما يُريد﴾.

القسم الثاني من الإرادة: الإرادة الشرعية الدينية، وتتضمن محبة الرب للمراد ورضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مرادها بل قد يوجد، وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عباده شرعا أن يعبدوه ويُطيعوه، فمنهم من عبَده وأطاعه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

وبهذا يعلم أن الإرادتين تجتمعان في حق المُطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، لأن الله لم يُرد منه المعصية شرعاً بل قد نهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿يُريد الله أن يتوب عليكم﴾ وقوله: ﴿يريد اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾.

ومن عرف الفرق بين هاتين الإرادتين سَلِم من شُبهات كثيرة زلّت فيها أقدام، وَضَلَّتْ فيها أفهام. (ز).

أراد شيئاً قال له: كن، فيكون، وأما محبته فإنها تتعلق بما يحبه خاصة من الأشخاص والأعمال كما ذكر في هذه الآيات تقييدها بأنه يحب الصابرين والمتقين والمؤمنين والمحسنين والمقسطين ونحوها فمشيئته عامة للكائنات ومحبته خاصة ومتعلقة بالمحبوبات.

ويتفرع عن هذا أصل آخر وهو التفريق بين الإرادة الكونية - فإنها تطابق المشيئة - وبين الإرادة الدينية - فإنها تطابق المحبة - فالأولى مثل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

[سورة الحج، آية ١٤]

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[سورة البروج، آية ١٦]

ونحوها، والثانية نحو:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

[سورة البقرة، آية ١٨٥]

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ونحوها.

[سورة النساء، آية ٢٧]

ومن أصول أهل السنة والجماعة الثابتة: إثبات علو الله على خلقه وإستوائه على عرشه[1]، وهي من أعظم الأصول التي

(١) إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وإقرار العقول بذلك أمر فطري فطر الله عليه العِباد، وأما الاستواء فأثبته السمع من كتاب الله وسنة رسوله، وليس في العُقول ما يخالف ذلك.

وحقيقته لغة: الارتفاع والعلو، وأما عن الكيفية فذلك مما اختص الله بعلمه، وأما تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من وجوه كثيرة، منها: أنه يتضمن أن الله جل =

= وعلا كان مغلوباً على عرشه ثم غلب وهذا باطل، لأنه تعالى لم يزل قاهراً لجميع خلقه مستولياً على العرش فما دونه، وأما بيت الأخطل[1] الذي يستدلون به على أن معنى (استوى): استولى، فلا حجة فيه، والبيت هو:

قَـــدِ اسْتَوى بِشْرٌ عـــلى العِرَاقِ   مِنْ غَيْرِ سَيْـــفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ

لأن استعمال (استوى) بمعنى: استولى، غير معروف في لغة العرب. ولأن ذلك لو وُجد في اللغة لم يجز استعماله في حق الله، وأما المخلوق فيكون غالباً ومغلوباً، كَبِشْرٍ هذا فإنه كان مغلوباً على أمر العراق ثم غلب! (ز).

فائدة نفيسة

ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته أقسام:

منها ما ورد بلفظ الإسم على وجه التسمي به كالعزيز الحكيم والغفور وشِبْهِ ذلك، فهذا القسم يُوصف به الرب، ويسمى به، ويشتق له منه فعل، ويثبت له منه مصدر، كالعزة والحكمة والمغفرة.

ومنها ما ورد بلفظ الاسم على وجه الإضافة، فهذا يُطلق على الله بلفظ الإضافة ولفظ الفعل، ولا يُشتق له منه اسم، مثل قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فيجوز أن يقول: الله خادع المنافقين، ويخدع من خدعه، ونحو ذلك، ولا يجوز أن نَعُدَّ من اسمائه الخادع، لعدم وروده، ولأن إطلاق الخادع يحتمل الذم والمدح فلا يجوز إطلاقه في حق الله.

ومنها ما ورد بلفظ الفعل فقط، كالكيد والمكر، فهذا لا يطلق على الله إلا بلفظ الفعل كقوله سبحانه تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً﴾. =

---

(١) وهو شاعر نصراني، توفي سنة (٩٠هـ) تُنظر ترجمته في «الشعر والشعراء» (١٨٩) لابن قُتيبة.

....

= وقوله:

﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ﴾ ولا يجوز أن يُعَدّ من اسمائه سبحانه الكائد والماكر لما تقدم.

وإنما جاز وصف الرب بالخداع والمكر والكيد في الآيات المشار إليها لأنه في مقابل خداع أعدائه مكرهم وكيدهم ومعاملتهم بمثل ما فعلوا من مدح وعدل يستحق عليه المدح والثناء.

فائدة أخرى ذكرها شيخ الإسلام وغيره

وهي أن صفات الرب القولية والفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد، كالكلام والخلق والرزق والنزول وأشباه ذلك، ونحو ذلك فجنس الكلام والخلق والرزق والنزول قديم، وأنواعه تحدث شيئاً فشيئاً على حسب حكمة الرب سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحْدَثٍ﴾ الآية، وكخلق آدم بعد أن لم يكن مخلوقاً، وغير ذلك، وهكذا الرزق والكلام.

وأما صفات الذات كاليد والقدم والسمع والبصر فهي صفات قديمة كالذات. (ز).

باين [١] بها أهل السنة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فما في هذه الآيات من ذكر علو الله واسمه العلي الأعلى، وصعود الأشياء إليه وعروجها ونزولها منه يدل على العلو.

وما صرَّح به من استوائه على العرش برهان قاطع على ثبوت ذلك وقد قيل للإمام مالك: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه - أي عن الكيفية - بدعة[٢].

ومن أصول أهل السنة والجماعة إثبات معية الله[٣]، كقوله تعالى:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ [سورة المجادلة، آية ٧]

وهذه المعية تدل على إحاطة علمه بالعباد، ومجازاته لهم بأعمالهم.

وفيها ذكر المعية الخاصة كقوله:

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية ١٩٤]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، آية ١٥٣]

﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه، آية ٤٦]

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة، آية ٤٠]

---

(١) أي افترقوا بها عنهم.

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٧) تعليق (٢).

(٣) المعية صفة من صفات الله وهي قسمان: معية خاصة لا يعلم كيفيتها إلا الله كسائر صفاته وتتضمن الإحاطة والنصرة والتوفيق والحماية من المهالك.
ومعية عامة تتضمن علم الرب بأحوال عباده واطلاّعه على جميع أحوالهم وتَصرُّفاتهم الظاهرة والباطنة ولا يلزم منها الاختلاط والامتزاج لأنه سبحانه لا يقاس بخلقه، فعلُوُّه على خلقه لا ينافي معيّتَه لعباده، بخلاف المخلوق فإن وجوده في مكان وجهة يلزم منه عدم اطلاعه على المكان الآخر والجهة الأخرى، والرب ليس كمثله شيء لكمال علمه وقُدرته. (ز).

وهذه الآيات تدل مع العلم المحيط على العناية بمن تعلقت به تلك المعية، وأن الله معهم بعونه وحفظه وكلائَته[1] وتوفيقه.

وإذا أردت أن تعرف: هل المراد المعية العامة أو الخاصة؟ فانظر إلى سياق الآيات، فإن كان المقام مقام تخويف ومحاسبة للعباد على أعمالهم وحث على المراقبة فإن المعية عامة مثل قوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**﴾ الآية.

وان كان المقام مقام لطف وعناية من الله بأنبيائه وأصفيائه وقد رُتِّبت المعية على الاتصاف بالأوصاف الحميدة، فإنّ المعيّة معيّة خاصة، وهو أغلب إطلاقها في القرآن مثل: ﴿**إن الله مع المتقين**﴾ ﴿**إن الله مع الصابرين**﴾ ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾ ونحوها.

ومن الأصول العظيمة: إثبات تفرد الرب بكل صفة كمال وأنه ليس لله شريك ولا مثيل في شيء منها، والنصوص المذكورة التي فيها نفي الند والمثل والكفؤ والسَّمِيِّ عن الله تدل على ذلك، وتدل على أنه منزه عن كل عيب ونقص وآفة.

ومن أصول أهل السنة والجماعة الثابتة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في دار القرار والتنعم برؤيته وقربه ورضاه، ويدل على ذلك من الآيات التي ذكرها المصنف قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾ أي جميلة ناعمة حسنة، ﴿**إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ وهذا صريح في نظرهم إلى ربهم، وكذلك قوله: ﴿**على الأرائك ينظرون**﴾ أي: إلى ما أعطاهم من النعيم الذي أجلَّه وأعظَمُهُ النظر إلى ربهم، وكذلك قوله: ﴿ **للذين أحسنوا** ﴾ أي وفوا مقام الإحسان ﴿ **الحُسْنَى** ﴾ التي هي الجنة (وَزِيَادةٌ) وهي النظر إلى وجه الله الكريم[2]، وكذلك قوله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾. [سورة الزمر، آية ٣٤]

---

(١) هي بمعنى الحفظ أيضاً.

(٢) وقد ثبت هذا في السنة النبوية، فقد رواه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٥) عن صهيب، فلينظر.

٢ - فصل

[أهل السُّنَّة وأهل البِدَع]

اعلم أن أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأهل القرون المفضلة متفقون على إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله لا فرق بين الذاتية منها كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ونحوها، ولا بين الفعلية كالرضى والغضب والمحبة والكراهية.

وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوها وبين الإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة وغيرها.

وكُلُّها يُثْبِتُونَها من غير نفي لشيء منها ولا تأويل ولا تحريف ولا تمثيل، وهذا هو الحق وهو الصراط المستقيم وهو الطريق المُنْجي من عذاب الله،والهدى والنور، وخالفهم في هذا الأصل طائفتان من أهل البِدَع:

إحداهما: الجهمية والمعتزلة على اختلاف طوائفهم، فإنهم نفوا جميع الصفات ولم يثبتوا إلا الأسماء والأحكام، والآيات السابقة كلها تنقض قولهم وَتُبْطِلُه، وكذلك كلامهم هذا يَنْقُض بعضُه بعضاً، فإن إثبات الأسماء والأحكام بلا أوصاف تقوم بالله محال عقلا كما أنه باطل سمعاً.

الطائفة الثانية: الأشعرية ومن تبعهم وهم أخف حالا وأهون من المعتزلة،لأنهم وافقوا أهل السنة في شيء ووافقوا المعتزلة في شيء:

وافقوا أهل السنة في إثبات الصفات السبع وهي الحياة والكلام والعلم والسمع والبصر والإرادة والقدرة، ووافقوا المعتزلة في بقية الصفات، والجميع محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة على الإثبات العام.

وأما النفي للصفات كلها أو التناقض فإنه مخالف للكتاب والسنة ومناف للعقل الصحيح فلا يثبت للعبد إيمان إلا بالإيمان المحض والعمل بما جاء به الرسول بلا شرط ولا قيد، والدَّورانِ مع النصوص الشرعية إثباتاً ونفياً.

٣ - فصل

في سنة رسول ﷺ(١)

(فالسنة تفسر القرآن وتُبَينّه وتَدُلُّ عليه، وتُعَبِّر عنه، وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي نقلها وتلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك).

أي إيماناً خالياً من التعطيل والتحريف، ومن التكييف والتمثيل، بل إثباتاً لها على الوجه اللائق بعظمة الرب.

وحُكْمُ السُّنة حُكْمُ القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل، فإن السنة توضح القرآن وتبين مجمله وتُقَيِّد مطلقه، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

[سورة النساء، آية ١١٣]

أي: السنة، وقال تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

[سورة الحشر، آية ٧]

---

(١) السنة هي الوحي الثاني والأصل الثاني من أصول الإسلام وهي توافق وتفسر ما جاء في القرآن من أسماء الله وصفاته وتثبتها على حقيقتها وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته: فقد جاء فيها من الصفات كثير كالنزول، والضحك، والقدم، والفرح، وغير ذلك مما جاءت به مما يجب أن يُقَرّ وَيُثْبَت ويُعْتَقَد حقيقة معناه على الوجه اللائق بالله تعالى شأن جميع الصفات. (ز).

(وذلك مثل قول صلى الله عليه وسلم: « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه من يستغفرني فاغفر له؟ » متفق عليه)[1].

فهذا الحديث قد استفاض في الصحاح والسنن والمسانيد واتُّفق على تلقيه بالقبول والتصديق بين أهل السنة والجماعة بل بين جميع المسلمين الذين لم تُغَيِّرهم البدع، وعرفوا به عظيمَ رحمة ربهم وَسَعَةِ جُوده واعتنائه بعباده وتعرضه لحوائجهم الدينية والدنيوية وأن نزوله حقيقة كيف يشاء فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ويقفون عند ذلك، فلا يُكيفون، ولا يُمثلون، ولا يَنْفُون، ولا يُعطِّلون، ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعال لما يريد وعلى كل شيء قدير.

ولهذا كان خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه فيقومون بعبوديّته خاضعين خاشعين داعين متضرعين يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم إياها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فيعلمون أن وعده حق ويخشون أن ترد أدعيتهم بذنوبهم ومعاصيهم، فيجمعون بين الخوف والرجاء، ويعترفون بكمال نعمة الله عليهم فتمتلىء قلوبهم من التعظيم والإيمان لربهم.

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

وفي الباب عن عدة من الصحابة.

وللإمام الدارقطني رحمه الله كتاب مفرد في جمع أحاديث النزول اسمه «كتاب النزول» حققه الدكتور علي بن ناصر الفقيهي حفظه الله ونفع به.

(وقوله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته - الحديث») متفق عليه[1].

وهذا فرح جود واحسان، لأنه جل جلاله ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمة الله وإحسانه ويكره لهم ضد ذلك، فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسباباً بينها لعباده وحثهم على سلوكها وأعانهم عليها ونهاهم عما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا رجعوا إلى التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يُقَدَّر، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مُهْلِكة وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادّة حياته من طعام وشراب وركوب فأيس منها وجلس ينتظر الموت فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها[2] وكاد الفرح أن يقضي عليه، «وقال من الدهشة وشدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[3] فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يُحصي العباد ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات كما تقدم أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته، فسببه الرحمة والإحسان، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) عن ابن مسعود مطولا.
وفي الباب عن عدة من الصحابة بألفاظ مختلفة.

(٢) هو زمامها الذي تقاد به.

(٣) وهي رواية عن البخاري (٢٣٩٢) ومسلم (٢٧٤٧) عن أنس.

(وقوله صلى الله عليه وسلم: « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة » متفق عليه)[1].

وهذا أيضاً من كمال وجمال إحسانه وسعة رحمته.

فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمن الله على ذلك الكافر والقاتل فيهديه للإسلام، فيدخلان الجنة جميعاً، وهذا من تفريع جوده المُتتابع على عباده من كل وجه.

والضحك يكون من الأُمور المعجبة التي تخرج عن نظائرها، وهذه الحالة المذكورة كذلك، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادىء الأمر أمر غير محبوب، ثم هذا المتجرِّيءُ على القتل يتبادر لإذهان كثير من الناس أنه يبقى على ضلاله ويعاقب في الدنيا والآخرة، ولكن رحمة الله وإحسانه فوق ذلك كله، وفوق ما يظن الظانون ويتوهم المُتوهِّمون، وكذلك لما دعا النبي ﷺ على أُناسٍ من رؤساء المشركين لعنادهم وأذيّتهم بالطَّرد عن رحمة الله أنزل الله قوله:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية

[سورة آل عمران، آية ١٢٨]

فتاب عليهم بعد ذلك وحسن إسلام كثير منهم[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١/٧) و(٢٢٦/٨) والترمذي (٣٠٠٧) والنسائي (٢٠٣/٢) عن ابن عمر، بنحوه.

وأخرجه أحمد (٥٦٧٤) والطبري (٧٨١٩).

وانظر «الدر المنثور» (٣١٢/٢) للسيوطي.

(وقوله صلى الله عليه وسلم: «عجب ربُّنا من قنوط عباده وقُرْب غيره[1] ينظر اليكم أزْلين[2] قَنِطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب». حديث حسن)[3].

وهذا العَجَبُ الذي وصف الرسول به ربَّه من آثار رحمة الله، وهو من كماله تعالى، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فإذا تأخَّر الغيثُ عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم استولى عليهم اليأس والقنوط وصار نظرهم قاصراً على الأسباب الظاهرة وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المُجيب فيعجب الله منهم.

وهذا محل عجب! كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء؟ والأسباب لحصولها قد توفرت، فإن حاجة العباد وضرورتهم من الأسباب لرحمته، والدعاء لحصول الغيث والرجاء لله من الأسباب، ووقوع الغيث بعد امتناعه مدة طويلة وحصول الضرورة يُعْجَبُ أن يكون الفضل لله وإحسانه موقعاً كبيراً وأثراً عجيباً كما قال تعالى:

﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾. الايات

[سورة الروم، آية ٤٩]

---

(١) هي بمعنى تغير الحال، وقد كانت في النسخة التي بين يدي (خيره) ولا إخالها إلا تحريفاً، والله أعلم.

(٢) متضايقين، ومفردها: أزل: «نهاية»*(٤٦/١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨١) وأحمد (١١/٤) والآجري في «الشريعة» (٢٧٩ - ٢٨٠) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١١/٤) وابن أبي عاصم (٥٥٤) والدارقطني في «الصفات» (٣٠) والديلمي (٣٨٩٠) والطيالسي (١٠٩٢) من طريق وكيع بن عُدُس عن أبي زين به.

ولفظه عندهم جميعاً: «ضحك..» وليس عندهم: «أَزِلين قَنِطين..». =

والله تعالى قدَّر من الطاقة وعوائده الجميلة أن الفرج مع الكرب وأن اليُسْر مع العسر، وأن الضرورة لا تدوم فان حصَّل مع ذلك قوة التجاء وشدّة طمع بفضل الله ودعاء فتح الله عليهم من خزائن جوده ما لا يخطر بالبال ولفظهُ: (قُرْب خَيْره)[1] رُويت في بعض الأحاديث بلفظة: (غِيَره) أي: تغييره الشِّدة بالرخاء.

(وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال جهنّم يلقي فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة فيها رِجْلـه وفي رواية: «عليها قدمه» فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَط قَطْ». مُتفق عليه)[2].

= وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٦٨/١):

«هذا إسناد فيه مقال، وكيع ذكره ابن حبان في «الثقات» [٤٩٦/٥]، وذكره الذهبي في «الميزان» [٣٣٥/٤] وباقي رجال الإسناد احتج بهم مسلم.

رواه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» من هذا الوجه».

قلتُ: ومداره على وكيع هذا، وهو مجهول الحال، ولم يرو عنه إلا واحد.

وله شاهد:

أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (رقم: ٣٣٧) عن عائشة بنحوه.

قلت: ولا يُفرح به ففيه علل:

الأولى: موسى بن خاقان، تُكُلِّم فيه لروايته خبراً منكراً، كما في «اللسان» (١١٦/٦).

الثانية: سلم بن سالم، اتفق المحدثون على تضعيفه، «لسان» (٦٤/٣).

الثالثة: خارجة بن مصعب، متروك.

فلا يزيد الحديث إلا وهناً!.

قلت: وقد ثبتت صفتا الضحك في عدة روايات غير هذا الحديث، تراجع في «التوحيد» لابن خزيمة، و«الشريعة» للآجري، وغيرها.

(١) ولم أرها فيما رجعت إليه من مراجع تخريج الحديث إلا «غيره» كما تقدم في التعليق والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس..

وهذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات وتُثْبَتُ لله حقاً على الوجه اللائق بعظمته، وذلك أن الله وعد النار مَلْأَها كما قال: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم من الجِنَّةِ والنَّاس أَجمعينَ**﴾ فلَما كان من مقتضى رحمته أن لا يعذِّب أحداً بغير جُرْمٍ وكانت النار في غاية الكِبَر والسِّعة حقَّق وعده تعالى ووضع عليها قدمه فتلاقى طرفاها ولم يبْقَ فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضلٌ عن أهلها مع كثرتهم **فيقول الله تعالى: (يا آدم) فيقول: لبّيك وسعدَيك، فيُنادي بصوت: إنَّ الله يأمُرُك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار» متفق عليه**[1].

ففي هذا الحديث إثبات القول من الله والنداء لآدم وأنه نداءٌ حقيقة بصوت، وهذا من فضلِ الله لا يُشْكِل على المؤمنين، فإنّ النداء والقول من أنواع الكلام، وكلام الله صفة من صفاته، والصفةُ تتبع الموصوف. وفيها أن القول والنداءَ يكون في يوم القيامة، وهذا من أدلة الأفعال الاختيارية.

وكم لهذه المسألة من براهين من الكتاب والسُّنة.

(وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه ربَّه ليس بينه وبينه ترجمان)[2] وهذا أيضاً إثبات لتكليمه لجميع العباد بلا واسطة، وتكليمه لعباده نوعان:

(نوع بلا واسطة) كما في هذا الحديث، فالتكليم هنا تكليم محاسبة، ويكون مع البَرِّ والفاجر، وأما قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله**﴾ فالمنفيُّ كلامٌ خاص وهو الكلام الذي يسُرّ المتكلم.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٧/١١) ومسلم (٢٠١/١).

(٢) رواه البخاري (٤٠٠/١١) ومسلم (٧٠٣/٢).

(ونوع بواسطة) وهو كلامه تعالى لرسله من الملائكة بأمره ونواهيه وأخباره لأنبيائه ورسله من البشر.

(وقوله صلى الله عليه وسلم في رُقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، أنت رب الطيِّبين، أنْزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» حديث حسن رواه أبو داود [1].

(وقوله: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» حديث صحيح[2].

وقوله: «والعرش فوق ذلك والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره[3].

وقوله للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم)[4].

فهذه النصوص وغيرُها المصرِّحة بأنه تعالى في السماء حق على حقيقتها، و(في) تكونُ بمعنى (على) كما قاله كثير من أهل العلم واللغة، وقد وردت في مواضع كثيرة على هذا النحو قال تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ أي: عليها، وقال طائفة من أهل العلم: إنَّ معنى (في

---

(١) هو في «سننه» (رقم: ٣٨٩٢)، وفيه زياد بن محمد الأنصاري، وهو منكر الحديث.

وقد خرّجته في تعليقي على «نصيحة الإخوان» (ص ٤٥) لابن شيخ الحزّامين.

(٢) رواه البخاري (٦٧/٨) ومسلم (٧٤٢/٢).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٠١) والطبراني في «الكبير» (٢٢٨/٩) وابن خزيمة (ص ١٠٥) وسنده حسن من أجل عاصم بن بهدلة.

وانظر «مختصر العلو» (ص ١٠٣).

(٤) (٣٨٢/١).

السماء) أي: في جهة العُلُوّ، وعلى الوجهين فهي نصٌّ في عُلُوِّ الله على خَلْقِه.

وفي حديث الرُّقية المذكور توسل الى الله بالثناء عليه بربوبيته وأُلوهيّته وقُدسيّته وعُلُوِّه وعموم أمره الشرعي وأمره القدري:

فان الله له الأمر القدري الذي ينشأ عنه جميع الموجودات والحوادث والتدابير القدرية كقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

[سورة يس، آية ٨٢]

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾.

[سورة القمر، آية ٥٠]

وله الأمر الشرعي المتضمن الشرائع التي شرعها لعباده على ألسنة رُسُله.

فتوسل إلى الله بذلك، ثم توسل إليه برحمته التي شملت اهل السموات كلهم أن يجعل لأهل الأرض نصيباً وافراً منها، ثم توسل إليه. بسؤال مغفرة الحوْب - وهو الذنب العظيم والخطايا وما دونها - ثم بربوبيّته الخاصة للطيبين - وهم الأنبياء وأتباعهم الذين غمرهم بِنِعم الدِّين والدنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوعة لا يكاد يُرَدُّ دعاء من توسل بها فلهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي لا يدع مرضاً إلا أزاله.

وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي اعترفت بِعُلُوِّ الله ورسالة رسوله دليل على أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بِعُلُوِّه على خلقه ومباينته له، وأنه على العرش استوى، وأن هذا أصل الإيمان، وأن من

أنكر علو الله المُطلق من كل وجه فقد حرم هذا الإيمان.

وقوله: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**». فيه الجمع بين الإيمان بعلوه على عرشه وفوق مخلوقاته وبإحاطة علمه بالموجودات كلِّها، وقد جمع الله بين الأمرين في عدة مواضع من كتابه.

(وقوله: أفضل الإيمان أن تَعْلَم أن الله معك حيث ما كنت» حديث حسن[1]. وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قِبَلَ وجهه، فإن الله قِبَلَ وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه)[2].

---

(١) أورده الهيثمي في «المجمع» (٦٠/١) وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت: ولم أر من ذكره بثقةٍ ولا جرح».

قلت:

كذا قال، وقد روى الحديث عن شيخه الطبراني الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» (١٢٤/٦) من طريق نعيم بن حماد، حدثنا عثمان بن كثيرٍ بن دينار، عن محمد ابن مهاجر عن عروة عن عبد الرحمن بن غنيم - كذا والصواب: غَنْم - عن عبادة.

قلت:

نعيم بن حماد ضعيف.

أما عثمان بن كثير الذي لم يعرفه الهيثمي! فهو عثمان بن سعيد بن كثير ثقة من رجال «التهذيب».

ومحمد بن مهاجر: لم يُعَيِّنه المناوي في «الفيض» (٢٩/٢)! والصواب أنه الأنصاري الثقة، فمن شيوخه عروة بن رويم، ومن تلاميذه عثمان بن سعيد بن كثير، كما في «تهذيب الكمال» (٣/ق: ١٢٧٧).

فتعصيب جناية الحديث بنعيم بن حماد أولي، وبخاصة أن أبا داود قال عنه: «عنده نحو عشرين حديثاً لا أصل لها»!.

والمعصوم من عصمه الله وهو المستعان سبحانه.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩/١) ومسلم (٢٣٠٣/٤).

هذان الحديثان دَلاّ على أن أفضل الإيمان مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وتعلم أن الله معك لا تتكلم ولا تفعل ولا تتصرف إلا والله يراك ويشاهدك ويعلم سرَّك وجهرك وأن تلزم الأدب مع الله خصوصاً إذا دخلت في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربِّه فتخضع وتخشع وتعلم أنك واقف بين يدي الله فتقلل من الحركات ولا تُسيءَ الأَدب معه بالبصاق أمامك أو عن يمينك فهذه المعيّة متى حصل للعبد استحضارها في كل أحواله لا سيما في عباداته فإنها أعظم عون على المراقبة التي هي أعلى مراتب الإيمان فيجمع العبد بين الإيمان بعُلُوِّ الله واستحضار قُرْبه، ولا منافاة بين الأمرين كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

(وقوله: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قَبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا» متفق عليه)[1].

وقد تواترت النصوص في رؤية الله لأهل الجنة وأنهم يرون ربهم ويتمتعون بمشاهدته وهي تدل على أمرين على عُلُوِّه على خلْقه، لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم وعلى أن أعظم النعيم نعيم النظر إلى وجهه الكريم، وحثُّه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خصوصاً: فيه إشارة على أن من حافظ عليهما نال هذا النعيم الكامل الذي يصغر عنده كل نعيم، وهذا يدل على تأكُّدهما كما دل على ذلك الحديث الآخر: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر..» الحديث، متفق عليه[2].**

---

(١) رواه البخاري (٢/٣٣) ومسلم (١/٤٣٩).
(٢) رواه البخاري (٢/٢٨) ومسلم (٦٣٢).

(إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يُخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة كما أن الأُمة وسط في جميع الأُمم).

والمراد بالوسط العدل الخِيار[1] الذين جمعوا كل حق في أقوال الخَلْقِ وردُّوا ما فيها من الباطل قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة، آية ١٤٣]

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تميل الى الغلوّ والإفراط والأمم التي تميل الى التفريط المهلك، فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل.

ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم وردَّ دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله واعتقدت رسالتهم وعرفت مقاماتِهم الرفيعة التي فضَّلهم الله بها ولم يغلوا في أحدٍ منهم.

---

(١) وقد صح هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ، رواه عنه أبو سعيد الخدري.
رواه الترمذي (٢٩٦٥) والنسائي في «الكبرى» - كما في «تحفة الأشراف» (٣٤٥/٣) وابن جرير (٢١٦٥) وأحمد (٣/٣) من طريق الأعمش عن أبي صالح عنه.
وسنده صحيح.
وفي الباب عن أبي هريرة.
وانظر «الدر المنثور» (٣٤٨/١).

ومن الأمم من أحلّت كل طيِّب وخبيث.

ومنهم من حرّم الطيّبات غلوّاً ومُجافاة.

وهذه الأمة أحل الله لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث ونحو ذلك من الأُمور التي منَّ الله على هذه الأمة بالتوسط فيها.

وكذلك أهل السنة والجماعة وسط بين فِرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

(فهم وسط[1] في باب صفات الله تعالى بين الجهميّة أهل التعطيل وبين المُشبِّهة أهل التمثيل).

---

(١) يمتاز أهل السنة والجماعة على غيرهم من فرق أهل الضلالة والبدع بأنهم وسط وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين فلم يَغْلُوا ولم يُفرطوا كفعل أهل البدع فهم وسط في باب صفات الله بين الجهمية المعطلة والمشبهة، فالجهمية نفوا صفات الباري والمشبهة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتى شبهوا الله بشخصه.

وأما أهل السنة فأثبتوهاعلى الوجه اللائق بجلالهمن غير تشبيهولا تمثيل وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، لأن الجبرية غَلَوا في إثبات القَدَرِ وَزَعَمُوا أنّ العبد لا فعل له، بل هو بمثابة الشجرة التي تُحركها الريح يمنة ويسرة.

والقدرية فرطوا بجانب الله وقالوا: إن العبد يخلق فعله بدون مشيئة الله وإرادته.

وأهل السنة توسطوا وقالوا: للعبد اختيار مشيئته وليس يخلق فعله، بل الله خالقه وخالق أفعاله وقالوا: إن مشيئته وإرادته بعد مشيئة الله وإرادته كما قال سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، لأن المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية وزعموا أن العاصي لا يدخل النار، والوعيدية من القدرية وأشباههم أنفذوا الوعيد الوارد في حق العصاة وقالوا: إن السارق والزاني ونحوهم من العصاة إذا لم يتوبوا مخلدين في النار.

وأهل السنة توسطوا في ذلك فقالوا: إن المعاصي تنقص الإيمان، وصاحبها تحت المشيئة وقد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ. =

كما تقدم بيان ذلك وأن أهل السنة يُثبتون جميع ما ثبت في النصوص من صفات الله على حقيقتها اللائقة بعظمة الباري، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار، وكل هذا غلُوٌّ منهم في إثبات القَدَر.

والقدرية قابلوهم فنفوا مُتَعَلَّقَ قُدرةِ الله بأفعال العباد تنزيهاً لله بزعمهم.

فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، وكل من هاتين الطائفتين ردَّت طائفة كبيرة من نصوص الكتاب والسُّنة.

= وهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية لأن الحرورية والمعتزلة يقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص فمن أتى بكبيرة، كالزنا ونحوه كفر عند الحرورية وصار فاسقاً عند المعتزلة خالداً في النار، ويقولون: [هو في] الدنيا [ليس] مؤمناً ولا كافراً ولكن يجعله في منزلة بين المنزلتين وهي الفسق.

وأما المرجئة: وهم الذين يقولون: إن الإيمان قول فقط أو قول وتصديق بالقلب فهم يرون أن المعاصي لا تنقص الإيمان ولا يستحق صاحبها النار إذا لم يستحلها، والجهمية مثل المرجئة لأنهم يقولون: إن الإيمان مجرد المعرفة: فأهل السنة توسطوا بين هذه الطوائف الأربع فقالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقالوا: إن العاصي لا يكون كافراً لمجرد المعصية. ولا مخلداً في النار خلافاً لقول الخوارج والمعتزلة. وقالوا أيضاً: إن المعاصي تنقص الإيمان ويستحق صاحبها النار إلا أن يعفو الله عنه خلافاً للجهمية والمرجئة.

وهم وسط في أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج لأن الرافضة غلوا في علي وأهل البيت، والخوارج كفّروا بعض الصحابة وفسقوا بعضها. وأهل السنة خالفوا الجميع فَوَالَوْا جميع الصحابة ولم يَغْلوا في أحد منهم. (ز).

وهدى الله أهل السنة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين فآمنوا بقضاء الله وقدره وشمولها للأعيان والأوساط والأفعال التي من جملتها أفعال المُكَلَّفين وغيرهم وآمنوا بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعل للعباد قدرة وإرادة تقع بها أقوالهم وأفعالهم على حسب اختيارهم وإرادتهم فآمنوا بكل نص فيه تعميم قدرة ومشيئة، وبكل نصٍّ فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقدرتهم وعلموا أن الأمرين لا يتنافيان كما سيأتي توضيح ذلك.

(وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم).

وذلك أن المرجئة جعلت الإيمان تصديق القلب فقط وأخرجت عنه جميع الأعمال الباطنة والظاهرة وجوّزوا على الله أن يعذب المطيعين وأن يُنعِّم العاصين.

وأما الوعيدية من القدرية فخلّدوا في النار كل من مات مصراً على الكبائر التي دون الشرك فانحرفت كل واحدة وردت لأجل ذلك من النصوص ما رَدَّت.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فتوسَّطوا وقالوا: إن الإيمان اسم لجميع العقائد الدينية والأعمال القلبية والبدنية وأنه يكون ناقصاً إذا تجرّأ المؤمن على المعاصي بدون توبة وأن الله لا يظلم من عباده أحداً ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب وأنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولو فعل الكبائر كما تواترت بذلك النصوص في الكتاب والسنة.

(وفي اسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين الجهمية والمرجئة).

وقد تقدم ذلك، لكن الفرق بين الحرورية والمعتزلة: أن الحرورية

وهم الخوارج يطلقون الكفر على العُصاة من المؤمنين ويخلدونهم في النار وأما المعتزلة فلا يطلقون عليهم الكفر بل يقولون أنهم لا مسلمون ولا كُفار ولكنهم يخلّدون في النار كما تقول الخوارج، والنصوص تردُّ قولهم جميعاً.

(وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج).

فإن الرافضة تسبهم وتلعنهم، وربما كفَّرتهم أو كفرت بعضهم وأمّا الرافضة الغالية فإنهم مع سبِّهم لطائفة من الصحابة وللخلفاء الثلاثة فإنهم يَغْلُون في عليٍّ ويَدَّعون فيه الأُلوهية وهم الذين حرَّقهم عليٌّ بن ابي طالب بالنار[1]، وقابلهم الخوارج فقاتلوه وقاتلوا الصحابة وكفّروهم واستحلوا دماءَهم ودماءَ المسلمين.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فاعترفوا بفضل الصحابة جميعاً وأنهم اعلى الأُمة في كل خصْلة، ومع ذلك فلم يغْلوا فيهم ولم يعتقدوا عِصْمتهم بل قاموا بحقوقهم وأحبُّوهم لما لهم من الحقِّ الأكبر على جميع الأُمة كما سيأتي.

٤ - فصل

[العُلوّ والفوقيّة]

قال المصنف رحمه الله: **(وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه عَلِيٌّ على خلقه وهو تعالى معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله:**

---

(١) كما في «صحيح البخاري» (رقم: ٣٠١٧).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الحديد، آية ٤]

وليس معنى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُم ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة[١] وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موجود في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مُهيمن عليهم مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الذي ذكر الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حقٌّ على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله «في السماء» أن السماء تُقلُّهُ أو تُظِلُّهُ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

[سورة البقرة، آية ٢٥٥]

وهو الذي ﴿ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر، آية ٤١]

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾

[سورة الحج، آية ٦٥]

---

(١) قارن بما كتبه تلميذ شيخ الإسلام العلامة ابن القيم في كتابه الفريد «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/٢٦٥ - مختصرة).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ﴾.

[سورة الروم، آية ٢٥]

شرح المصنف رحمه الله في هذا الفصل مسألة عُلُوِّ الله واستوائه على عرشه، وأن ذلك داخل في الإيمان بالله، وذلك لما حصل في هذه المسألة من الاختلاف والمُخاصمات الطويلة بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم في هذه المسألة من الأشعرية ونحوهم.

فإن مسألة العُلُوِّ صُنِّفت فيها المُصنفات المستقلة وأورد فيها أهل السنة من نصوص الكتاب والسنة ما لا يمكن دفعه أو دفع بعضه، وحقّقوا ذلك بالعقل الصحيح وأن الفِطَرَ والعُقول معترفة بل ومضطرة إلى الإيمان بعلو الله، إلا من غَيَّرت فطرته العقائد الباطلة.

وقد بين المصنف في هذا الموضوع الجمع بين الإيمان بعلو الله وإثبات معيته وعلمه المحيط، وحققه في كلام واضح مبين بالأمثلة المقربة للمعاني بما لا مزيد عليه.

٥ - فصل

[القُرْب]

قال المصنف رحمه الله: (**وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب كما جَمَع بين ذلك في قوله:**

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾.

[سورة البقرة، آية ١٨٦]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1].

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من عُلُوِّه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عَلِيٌّ في دنوه قَريبٌ في عُلُوِّه).

خصص المصنف رحمه الله هذا البحث بهذين الأمرين، وذلك لشدة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته ليكون العبد مراقباً لله إذا آمن بقربه إيماناً تاماً، وكان منيباً إليه على الدوام إذا آمن بإجابته للسائلين وإثابته للمطيعين.

ثم ذكر رحمه الله الجمع بين الإيمان بعلو الله وقربه ومعيته لئلا يظن الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين، وأنه إذا قيل: إنه عَلِيٌّ فوق خلقه كيف يكون معهم وقريباً منهم؟ فأجاب بما تضمنه هذا الأصل الثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، ومن نعوته اللازمة العُلُوُّ المطلق والقُرْب العام والخاص وأن القرب والعلو في حقه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه، فهو العليُّ في دُنُوِّه القَرِيبُ في عُلُوِّه.

وهذا الأصل ينفعك في كل ما ورد عليك من صفات الله الثابتة فأثبتها ولا تتوقف، فإن الذي أثبتها هو الله الذي هو أعلم بنفسه ورسوله الذي هو أعلم الخلق وأورعهم وأنصحهم للمخلوقين، فإن خطر ببالك تمثيل أو تشبيه فتفطن لقوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

---

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك أيضاً فإن الكلام على الصفات مثل الكلام على الذات، فكما أنه لا نظير له ولا مثيل له في ذاته، فكذلك لا مثيل له ولا نظير له في صفاته.

٦ - فصل

[القرآن كلام الله]

قال المصنف: (ومن الإيمان به وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله مُنَزَّل غير مَخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مُبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف).

ووجه ذلك وأنه داخل في الإيمان بالله وبكتبه أن الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف وأنه من الإيمان بالله لأنه وصفه، والكلام صفة للمتكلم، فإن الله تعالى موصوف بأنه متكلم إذا شاء بما شاء وأنه لم يزل ولا يزال يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفذ ولا يَبيد، ونوع الكلام أزلي أبدي[1] ومفرداته لا تزال تقع شيئاً فشيئاً بحسب حكمة الله تعالى، والله تعالى أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿ كلام الله ﴾ إضافة الصفة لموصوفها، فدل على أنه كلامه لفظه ومعناه ووصفه، وإذا كان كذلك كان غير مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق من المعتزلة فقد أعظم الفرية على

---

(١) أي: قديم.
ولفظ «القديم» ثابت كتاباً وسنة، أما سواه فلا.

الله ونفى كلام الله عن الله وصفاً، وجعله وصفاً للمخلوق، ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه كما قاله الكُلاَّبية والأشعرية فقد قال بنصف قول المعتزلة.

فالقرآن كلام الله حيث تصرف سواء كان محفوظاً في الصدور أو متلواً بالألسنة أو مكتوباً في المصاحف فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله كما قال المصنف، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مُبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

وقول السلف: «كلام الله منه بدأ» أي: هو الذي تكلم به لا غيره، وقولهم: «إليه يعود» أي: يرجع، أي يوصف الله به، وقيل: إن المراد بذلك ما ورد من أن من أشراط الساعة أن يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، والأوّل أوْلَى.

وهذه المسألة مسألة الكلام عظيمة تكلم فيها الناس على اختلاف طرائقهم، ولكن المصنف ذكر في هذا الفصل كلاماً في التكلم جامعاً نافعاً مأخوذاً من الأدلة الشرعية العقلية والنقلية.

وأما كون هذا داخلا في الإيمان بكتبه فإن الإيمان بالكتب وخصوصاً القرآن، يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلن يتم إيمانه.

واعلم أن المؤمنين بالقرآن على قسمين:

كاملين وناقصين.

أما الكامِلون: فإنهم اقبلوا على القرآن فتفهموا معانيه ثم آمنوا بها واعتقدوها كلها وتخلقوا بأخلاقها وعملوا بما دل عليه امتثالا لأوامره واجتناباً لنواهيه ولم يفرقوا بين نصوصه، كحال أهل البدع الذين آمنوا ببعض دون بعض.

وأما الناقصون فهم قسمان: - قِسم مبتدعون، وقِسم فاسقون ظالمون.

أما المبتدعون: فكل من ابتدع بدعة ترك لها شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله، وهؤلاء على مراتبهم في البدعة بحسب ما خالفوا فيه.

وأما الفاسقون: فهم الذين عرفوا أنه يجب عليهم الإيمان بالكتاب والعمل به فاعترفوا بذلك، ولكن أعمالهم ناقضت أقوالهم فتجرأوا على مخالفة الكتاب بترك كثير من واجباته والاقتحام على كثير مما نهى عنه من غير أن يجحدوا، ولكن نفوسهم الأمارة بالسوء غلبتهم واستولت عليهم، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن آمن بكتابه إيماناً صحيحاً حتى نكون لجميع نصوصه معتقدين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، إنه جواد كريم.

٧ - فصل

[ما بَعْدَ الموتِ]

قال المصنف رحمه الله:

(ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت).

وهذا ضابط جامع يدخل فيه الإيمان بالنصوص الواردة في حالة الاحتضار وفي القبر والقيامة والجنة والنار وجميع ما احتوت عليه من التفاصيل التي صُنِّفت فيها المُصنفات المُطولة والمُختصرة، وكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر، ثم أشار المصنف إلى شيء منها فقال:

(فيؤمنون بفتنة القبر وبعذابه ونعيمه: فأما الفتنة، فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجال: مَنْ ربُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟، فَيُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي، وأما المُرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بِمِرْزَبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسانُ ولو سمعها الإنسان لصعق)[1].

وهذا الإبتلاء والامتحان لكل عبد، فأما من كان مؤمناً إيماناً صحيحاً ثبته الله ولقنه[2] الجواب الصحيح للملكين كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم، آية ٢٧]

فذكر أن تثبيته لهم جزاء لهم على إيمانهم في الدنيا، فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح وإن كان عامياً، أو أعجمياً، وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول فإنه يستعجم عليه الجواب ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالمينَ﴾.

ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا يحس به الإنس والجن بمشاعرهم، لأن الله تعالى جعله من الغيب ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة.

(ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فَتُعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في

---

(١) كما في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه أبو داود (٤٧٢٧) والطيالسي (٧٥٣) وأحمد (٢٨٧/٤ و٢٨٨) والحاكم (٣٧/١-٤٠) والرافعي في «التدوين» (٦١/١) وعبد الرزّاق (٦٧٣٧) والطبراني في «الأحاديث الطوال» (رقم: ٢٥).
وسنده صحيح كما قال ابنُ القيِّم في «تهذيب السنن» (٣٣٧/٤) وغيرُهُ.

(٢) هذا هو التلقينُ الشرعيُّ الربّاني الصحيح، أمّا التلقين الذي تفعلُه العامّة في بعض البلاد فمِمّا لا يصحُّ ولا يَثْبُتُ!.

كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حُفاة عُراة غُرْلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد[1]،

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

[سورة المؤمنون، آية ١٠٢]

وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره قال تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

[سورة الإسراء، آية ١٣]

ويحاسب الله الخلق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما وُصف ذلك في الكتاب والسنة[2].

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من تُوزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فَيُوْقَفون عليها ويقررون بها ويجزون بها. وفي عرصات القيامة الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً[3]، والصراط

---

(١) الجمعُ بين النصوص الواردة في وزن الأعمال، والعاملين، والصحائف. أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة. (ز).

(٢) كما رواه البخاري (٤٧٥/١٣) ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر.

(٣) كما رواه البخاري (٤٦٣/١) ومسلم (١٧٩٨/٤).

منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم[1]، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[2].

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ[3].

وأول من يدخل الجنة أمته صلى الله عليه وسلم[4].

وله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات[5]:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وعيسى بن مريم، حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٥).

(٣) كما أخرجه مسلم (١/١٨٨) عن أنس.

(٤) رواه البخاري (٦/٣١٨) ومسلم (٤/٢١٨٠) عن أبي هُريرة.

(٥) انظر في الشفاعات «كتاب الشفاعة» للشيخ الفاضل مُقبل بن هادي الوادعي حفظه الله.

وراجع «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٢٩ - ٢٣٨) لابن أبي العزّ الحنفي.

وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم [1] فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة

---

(١) الشّفاعات التي تقع يوم القيامة: ست شفاعات معروفة من الأدلة الشرعية: منها ثلاث شفاعات تختص بالنبي ﷺ وهي:

١ - الشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

٢ - الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها.

٣ - شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب حتى جُعل في ضحضاح من النار[1]، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي وبأبي طالب عمه، وأما سواه من الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى:

﴿فمَا تَنْفَعُهُمْ شفاعَةُ الشَّافِعينَ﴾.

الرابعة والخامسة: شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها.

السادسة: شفاعته في رفع درجات أهل الجنة، وهذه الشفاعة الأخيرة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والملائكة وصغار الموتى من أطفال المسلمين، وكلها خاصة بأهل التوحيد.

وأما الكفار فيخلدون في نار جهنم ولا يذوقون فيها الموت كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يُقْضىٰ عليهم فَيموتُوا﴾ ونحوها من الآيات.

وأما من دخلها من العُصاة الموحدين فإنه لا يُخلَّد فيها بل يخرج منها بعد التطهير والتمحيص.

وثبت في «الصحيح»[2] عن النبي ﷺ أن العصاة يموتون فيها ثم يخرجون منها كالحمم فينبتون فيها كما ينبت الحب في حميل السَّيل. (ز).

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢٠٩) عن أبي سعيد.

(٢) رواه البخاري (رقم: ٢٢) ومسلم (١٨٢).

فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة[1].

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكور في الكتب المنزلة من السماء، وفي الآثار من العلم الموروث عن الأنبياء، وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يكفي ويشفي، فمن ابتغاه وجده).

ذكر المصنف رحمه الله هذا الكلام النفيس المتعلق باليوم الآخر المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة وهو كلام واضح جامع، وأحال على الكتاب والسنة في بقية تفاصيل اليوم الآخر، وقد كتب أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر وبالجنة والنار وتفاصيل ذلك الكثير، وصنفوا المصنفات المطولة والمبسوطة، والمهم أن ذلك كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.

واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، وواقع بالسمع، فإن الله نبه العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب، وذكر بما هو مستقر في العقول الصحيحة من أنه لا يليق بحكمة الله وحمده أن يُتْرَكَ الناس سدى، أو أن يكونوا خُلِقُوا عبثاً لا يؤمرون، ولا يُنهون، ولا يُثابون، ولا يُعاقبون، وأن العقول الصحيحة تنكر ذلك أشد الإنكار.

وهذا شيء مشاهد محسوس متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك، ولا يزال يري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبيّن به الحق لأولي العقول والألباب.

وأما تفاصيل الجزاء ومقاديره فلا يُدْرَك إلا بالسمع والنقول

(١) رواه مسلم (٢٨٤٩)، (٣٨) عن أنس.

الصحيحة عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ومن الحكمة في محاسبة الخلق على أعمالهم وزنها وظهورها مكتوبة في الصحف مع إحاطة علم الله بذلك لِيُري عباده كمال حمده، وكمال عدله، وسعة رحمته، وعظمة ملكه، ولهذا قال: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّين﴾ مع أن ملكه عام مطلق لهذا اليوم ولغيره.

قال المصنف رحمه الله: **(وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقَدَرِ خيره وشره، والإيمان بالقَدَرِ على درجتين كل درجة تتضمن شيئين[1]:**

(١) مراتب القَدَر[1] أربع، وإن شئت سميتها أشياء بدلاً من مراتب، كما سماها المصنف رحمه الله:

الأولى: علم الله بجميع الأشياء، وعلمه بجميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، وغير ذلك، فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلاً وأبداً لا يغيب عن علمه شيء كما قال تعالى: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

الثانية: كتابته لجميع الأشياء، فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه كما قال تعالى: ﴿إن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض إن ذلك في كِتابٍ إن ذلكَ علَى الله يَسيرٌ﴾ وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبةٍ﴾ الآية.

الثالثة: مشيئة الله النافذة في كل شيء وقدرته على كل شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ ما فعلوه﴾، ﴿لِمَنْ شاء منكم أن يستقيم﴾، ﴿ومَا تَشاؤونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ ربُّ العالمين﴾ وقال: ﴿إنَّ الله على كل شيء قديرٌ﴾.

الرابعة: الإيمان بأنّ الله خالقُ الأشياء وموجدها، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال: ﴿اللهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ﴾ وقال: ﴿الحمد لله ربِّ العالِمينَ﴾ والمراد بالعالمين جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنَ ومَا رَبُّ العالمينَ، قالَ ربُّ السَّمواتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُم مُوقنينَ﴾. (ز).

---

(١) للعلامة ابن القيّم رحمه الله كتاب عظيم في مسائل القدر ومراتبه،اسمه «شفاء العليل» وهو مطبوع، فلينظر.

فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله يعلم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له: أكتب قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[1]» فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف[2]، كما قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة الحج، آية ٧٠]

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم: ١٠٣) وفي «الأوائل» (رقم: ١) وأحمد في «المسند» (٣١٧/٥) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبادة عن أبيه.

وهذا سند ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة:

وله طريق أخرى:

فقد أخرجه أحمد (٣١٧/٥) وابن أبي شيبة (١١٤/١٤) وابن أبي عاصم (١٠٧) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٧) من طريقه عن معاوية بن صالح عن أيوب بن صالح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه.

وهذا سند حسن من أجل أيوب، فلم يوثقه إلاّ ابن حبان وروى عنه جَمْعٌ.

وللحديث طُرُقٌ أخرى، وفيما ذكرتُ غُنْيَةٌ.

(٢) كما في الحديث الذي رواه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) وأبو يعلى (٢٥٥٦) من طريق قيس بن الحجاج عن حَنَش الصَّنعاني عن ابن عباس.

وإسناده حَسَنٌ، رجاله كلهم ثقات إلا قيساً، وثقه ابن حِبّان، وقال أبو حاتم: صالح، وروى عنه جَمْعٌ.

وللحديث طُرق أخرى استوعبها تخريجاً أخونا الفاضل محمد بن ناصر العجمي في تعليقه على رسالة «نور الاقتباس في مشكاة النبي ﷺ لابن عباس» (ص ٣١ - ٣٤).

وقال:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة الحديد، آية ٢٢]

وهذا التقدير تابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد[1]، ونحو ذلك، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات ولا في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه ما لا يريد وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

---

(١) كما رواه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) عن أبي سعيد.

والعِبَادُ فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى:

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة التكوير، آية ٢٩]

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[١] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها)[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١) وابن أبي عاصم (٣٣٨) والحاكم (٨٥/١) من طريق أبي حازم عن ابن عمر.

ورجاله ثقات لكنه منقطع.

وله طرقٌ أخرى أوردها ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٨٢) و (٣٢٩) و (٣٣٩) و(٣٤٠) و(٣٤١) و(٣٤٢) وتكلم عليها شيخنا العلامة الألباني، وخَرَج إلى القول بصحتها.

وهو كما قال حفظه الله ونفع به.

وقارن بالتعليق على «شرح الطحاوية» (٣٥٦/٢ - ٣٥٨ - طبع الرسالة)!!

(٢) أقسام القَدَرِ أربعة:

الأول: التقدير العام، وهو تقدير الرب لجميع الأشياء بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئته وخلقه لما كان منها، ويدل على هذا النوع دلائل كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يعْلَمُ ما فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ إنَّ ذلك في كتاب﴾ الآية، وقولهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وأَنَّ الله قَدْ أحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ ما اقْتَتَلُوا﴾ الآية، وقوله: ﴿إنّ الله يَفْعَلُ ما يشاءُ﴾، وقوله: ﴿الله خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي «صحيح مسلم»[١] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ =

---

(١) (٢٠٤٤/٤).

اعلم أن الإيمان بالقدر أمره عظيم وشائنه مهم جداً وهو احدأركان الإيمان الستة، وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال فضلا عن المنكرين من الملحدين وغيرهم، وقد فصله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النفيس الذي لا يوجد له نظير في تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه وهو مجموع من نصوص الكتاب والسنة ومن العقيدة السلفية الخالصة.

= قال: «**إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».

القسم الثاني: تقدير عُمْريٌّ وهو تقدير كلٍّ ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته، وقد دلّ عليه حديث ابن مسعود المخرج في «الصحيحين»[1] مرفوعاً: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يُرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ أو سعيد...**» الحديث.

الثالث: التقدير السنوي، وذلك يكون في ليلة القدر، ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْر حكيم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**تنَزَّلَ الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذنِ ربِّهِمْ مِن كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حتىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ**﴾ قيل: يُكتب في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت وعِزٍّ وذُلٍّ وغير ذلك، رُوي هذا عن ابن عُمَرَ ومُجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السَّلف[2].

الرابع: التقدير اليومي: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**كُلَّ يومٍ هو في شأنٍ**﴾. ولأثَر عن ابن عباس: إن لله لوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء، دفّتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم كذا وكذا نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت ويُعز ويُذِل ما يشاء» أخرجه ابن جرير[3]. وفي اسناده أبو حمزة الثُّمالي وهو ضعيف ورُميَ بالرفض[4] فلا يعتمد عليه. =

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو كلام ابن كثير بحروفه. «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢١٠).

(٣) في «تفسيره» (٢٧/١٣٥) وانظر أيضاً «الدر المنثور» (٧/٦٩٩).

(٤) انظر ترجمته في «التهذيب» (٢/٧ - ٨).

فذكر أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم إلا بالإنحراف إلى الأقوال المنحرفة، وذلك أنه ثبت في نصوص الكتاب والسنة إحاطة علم الله بجميع الموجودات السابقة والحاضرة والمستقبلة من أعيان وأوصاف وأفعال للمكلفين وغيرهم، وتثبت النصوص أيضاً أن الله أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها باللوح المحفوظ في نصوص لا يمكن إحصاؤها، وتثبت النصوص أيضاً أن مشيئة الله عامة وإرادته القدرية شاملة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير ولا عين ولا فعل ولا وصف وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

= وأخرج ابن جرير عن مُنيب بن عبدالله الأزدي عن أبيه[1] وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء[2] عن النبي ﷺ في تفسير ﴿كلَّ يَوْمٍ هُوَ في شأْنٍ﴾ قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرِّج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين**» علقه البخاري[3] عن أبي الدرداء موقوفاً. (ز).

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣٥/٢٧) والبزّار (٢٢٦/٦) والطبراني في «الكبير» كما قال الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٧) ولم أره فيه (٣٤٢/٢٠) وفي «الأوسط» وفي سنده عمرو بن بكر السّكْسكيُّ، وهو متروك.

وما بعده يُغني عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢) وابن حبان (١٧٦٣) وابن أبي عاصم (٣٠١) من طريق هشام بن عمار عن الوزير بن صبيح، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء.

وسنده حسن في الشواهد.

وله متابعة في «مسند أبي يعلى» أشار إليها البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٧٠/١).

وانظر «السنة» (١٣٠/١ - ١٣١) لابن نصر، وتعليق شيخنا عليه.

(٣) (٤٧٨/٨ - فتح الباري).

والنصوص على شمول قدرة الله ومشيئته لكل حادث لا تحصى.

وتثبت النصوص أيضاً أن العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم وأن أعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم التي خلقها الله لهم.

وخالق السبب التام خالق للمُسَبِّب.

وبهذا ينحل عن العبد الإشكال ويتسع قلبه للجمع بين إثبات عموم مشيئته وقدرته وشمولها لأفعال العباد مع وقوعها شرعاً وحساً وعقلا باختيارهم.

فمتى جمع العبد هذه المراتب الأربع وآمن بها إيماناً صحيحاً كان هو المؤمن بالقدر حقاً الذي يعلم أن الله بكل شيء عليم وعلمه بالحوادث قد أودعها في اللوح المحفوظ، والحوادث كلها تجري على ما علمه الله وكتبه وتقع بأسباب ربطها العزيز الحكيم بمسبباتها.

والأسباب والمسببات من قضاء الله وقدره، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار»**، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**». ثم قرأ صلى الله عليه وسلم:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ متفق عليه[1].

[سورة الليل، آية ٩٢]

---

(١) رواه البخاري (٧/٥٤٤) ومسلم (٢٦٤٧).

وتوضيح ذلك أن العبد إذا صلى وصام وعمل الخير أو عمل شيئاً من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب واقع باختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك وأنه لو شاء لم يفعل، وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه ونص عليه رسوله حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد وأخبر أنهم الفاعلون لها وأنهم محمودون عليها إن كانت صالحة ومثابون عليها ومذمومون إن كانت سيئة ومعاقبون عليها.

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم وأنهم إن شاءوا فعلوا وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلا وحساً وشرعاً ومشاهدة، ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها كذلك واقعة منهم واعترض معترض وقال: كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها فهي بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وهذا يعترف به كل أحد، ويقال أيضاً: إن الله خلق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم! والجواب كذلك يعترف به كل أحد وأن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال كما أنه الخالق للأفعال وهذا هو الذي يحل الإشكال ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع كما قال صلى الله عليه وسلم: «**وأمّا من كان من أهل السعادة فيُيَسَّر لعمل أهل السعادة**» وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم ولهم يُعْنِهم لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه فولاهم ما تولوه لأنفسهم.

ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرفت هنا

طائفتان من الناس:

طائفة يقال لهم الجبرية، غلوا في إثبات القدر وتوهموا أن العبد ليس له فعل حقيقة، وأنه لا يمكن أن يُثْبِتَ للعبد عموم المشيئة وَيُثْبِتَ له أيضاً عموم الاختيار.

والطائفة الأخرى: القدرية قابلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم وتوهموا أنه لا يمكن•مع ذلك أن يدخل ذلك في قضاء الله وقدره ولم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين فرد كل منهما قسماً كبيراً من نصوص الكتاب والسنة المؤيدة للقول الصحيح.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فآمنوا بجميع الكتاب والسنة وآمنوا بقضائه وقدره وشمولها لكل موجود وبشرعه وأمره وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون.

فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة بربهم لعلمهم أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له في عباده المؤمنين ألطافاً وتيسيراً لا يناله أحد منهم إلا بقوة الإيمان والتوكل، وأوجب لهم إيمانهم بالشرع والأمر والنهي والأسباب وأنها مرتبطة بمسبباتها شرعاً وقدراً الجد والاجتهاد في فعل الأسباب النافعة.

وبذلك تعرف أن الإيمان الصحيح سبب لكل خير.

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينته وَقُوّته وشجاعته لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

كما أنه يُسلي العبد عن المصائب ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزقه الله قال تعالى:

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾. [سورة التغابن، آية ١١]

قال بعض السلف[1]: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم.

ومن فوائده أنه يوجب للعبد شهود مِنَّةِ الله عليه فيما يَمُنُّ به عليه مِن فعل الخيرات وأنواع الطاعات، فلا يُعْجَبُ بنفسه ولا يُدْلي بِعَمَلِهِ لعلمه أنه تعالى هو الذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وُكِّل إلى نفسه لضعف وعَجَزَ عن العمل.

كما أنه سبب لِشُكر نِعم الله بما يُنْعِمُ عليه من نعم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة.

٨ - فصل

[الإيمان]

قال المصنف رحمه الله: **(ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال في آية القصاص:**

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾.

[سورة البقرة، آية ١٧٨]

---

(١) رواه ابن جرير (١٢٣/٢٨) عن علقمة.

وسنده صحيح.

ورواه كذلك ابن ابي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥٨٧/٤).

وقال:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾.

[سورة الحجرات، آية ٩]

قد دل الكتاب والسنة على ما قاله الشيخ وأجمع على ذلك سلف الأمة، فكم من آية قرآنية وأحاديث نبوية أطلقت على كثير من الأقوال والأعمال إسم الإيمان، فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه ويدخل فيه العقائد التي يجب اعتقادها في كل ما احتوت عليه من هذا الكتاب.

ويدخل فيه أعمال القلوب كالحب لله ورسوله.

والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها: محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر، والعزم على تركه، وهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح، فالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد من الإيمان، وبر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه المتنوعة كلها من الإيمان وكذلك الأقوال:

فَقِراءة القرآن وذكر الله والثناء عليه والدعوة إلى الله والنصيحة لعباد الله وتعلم العلوم النافعة كلها داخلة في الإيمان.

ولهذا لما كان الإيمان اسماً لهذه الأمور ترتب عليه أنه يزيد وينقص

كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة وكما هو ظاهر مشاهد في تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وجوارحهم.

ومن زيادته ونقصه أن قسم المؤمنين إلى ثلاث طبقات:

سابقون بالخيرات، وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات. فهؤلاء المقربون.

ومقتصدون، وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات.

وظالمون لأنفسهم وهم الذين تجرأوا على بعض المحرمات وقصروا في بعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم. فهذا من أكبر البراهين على زيادة الإيمان ونقصه.

فما أعظم التفاوت بين هؤلاء الطبقات.

ومن وجوه زيادته ونقصه: أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان وتفاصيله، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير فازداد به إيمانه وتم به يقينه، ومنهم ما هو دون ذلك ودون ذلك، حتى تصل الحال إلى أن من المؤمنين من معه إيمان إجمالي ولم يتيسر له من التفاصيل شيء وهو مع ذلك مؤمن! ومعلوم الفرق بين هذه المراتب.

ومن وجوه زيادة الإيمان ونقصه أن المؤمنين متفاوتون تفاوتاً كبيراً في أعمال القلب والجوارح وكثرة الطاعات وقلتها، وهذا شيء محسوس.

ومن وجوه زيادته ونقصه أن من المؤمنين من لم تجرح المعاصي إيمانه وإن وقع منه شيء من ذلك بادر إلى التوبة والإنابة، ومنهم من هو متجرىء على كثير من المعاصي ومعلوم الفرق بينهما.

ومن وجوه زيادته ونقصه أن من المؤمنين من هو واجد حلاوة الإيمان وقد ذاق طعمه واستحلى الطاعات وتأثر قلبه بالإيمان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك، ولهذا قال المصنف رحمه الله: **(ولا يسلبون الفاسق**

المِلِّيَّ اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في إسم الإيمان المطلق كما في قوله:

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [سورة النساء، آية ٩٢]

وقد لا يدخل في إسم الإيمان المطلق كما في قوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [سورة الأنفال، آية ٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نُهْبَةَ ذاتَ شَرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[1] ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يُعطى الإسم المُطْلَقَ ولا يُسْلبُ مُطْلَقَ الإسم) وهذا تحقيق مذهب السلف الذي باينوا فيه الخوارج المارقين الذين يسلبون العصاة اسم الإيمان ويخلدونهم في النار[2].

وباينوا فيه المعتزلة الذين وافقوا الخوارج في المعنى وخالفوهم في اللفظ.

أما الكتاب والسنة فإنها دلا من وجوه كثيرة على أن العبد يكون فيه خير وشر وإيمان وخصال كفر، وخصال نفاق لا تخرجه عن الإيمان بالكلية، وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل

---

(١) رواه البخاري (١٠/٣٠) ومسلم (١/٧٦).

(٢) وقد نَبَتَتْ بذور هذه الطائفة من جديد وذرَّ قرنُها! فالواجب على أهل العلم وطلبته الوقوف أمام هؤلاء بالحُجّة والبرهان حتى يرجعوا عن ضلالهم ويتوبوا إلى بارئهم سبحانه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ونحو ذلك من النصوص.

[سورة الأنفال، آية ٢]

وأما مطلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص فإنه قد ثبت في الكتاب والسنة إطلاقه على العصاة من المؤمنين، وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿ **فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ ومن المعلوم دخول أي مؤمن من الأرقاء في هذا النص وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال.

ويقال أيضاً في توضيح ذلك أن الإيمان الممدوح الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الإيمان الكامل، والإيمان الذي يقال لصاحبه: إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا، ويقال أيضاً: الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجري على الزنا وشرب الخمر والسرقة ونحوها من الفواحش هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو الناقص.

وهذا وجه الحديث الذي ذكره المصنف «**لا يزني الزاني**»[١] إلخ.

ويقال أيضاً: الإيمان الذي يمنع دخول النار هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون إيماناً ناقصاً.

وقد تواترت الأحاديث بخروج من في قلبه حبة خردل من ايمان[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر «صحيح البخاري» (٤٥٨١) و«صحيح مسلم» (٥٠).

ويقال أيضاً: الأحكام الأصولية والفروعية تدور مع أسبابها وعللها: وإذا وجد في العبد أسباب متعارضة عمل كل سبب في مُسَبَّبِهِ: فالطاعات سَبَبٌ لدخول الجنة والثواب، والمعاصي سَبَبٌ لدخول النار والعقاب، فَأَعْمِلْ كُلَّ واحد في مقتضاه.

ولكن لما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه[1] وفضله على العباد قد غمرهم وتنوع عليهم من كل وجه كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المُسْتَقِرُّ الذي يَضْمَحِل ضِدُّه من كل وجه وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مَآلَهُ إلى الخلود في دار النعيم.

٩ - فصل

[الصَّحابة]

(ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]). [سورة الحشر، آية ١٠]

---

(١) كما أخرجه البخاري (٦/٢٨٧) ومسلم (٤/٢١٠٧) عن أبي هُريرة.

(٢) خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وعمّا شجر بينهم: هو سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعاً، وإظهار محاسنهم وإخفاء مساوئهم، أي إخفاء مساوىء من نُسب إليه شيء من ذلك، والإمساك عما شَجَر بينهم، واعتقاد أنهم في ذلك بين أمرين: إما مجتهدون مُصيبون، وإما مُجتهدون مُخطئون، فالمصيب له أجران والمخطىء له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور.

وإذا قُدِّر أن لبعضهم سيئات وقعت عن غير اجتهاد فلهم من الحسنات ما يغمرها ويمحوها وليس في بيان خطأ من أخطأ منهم في حكم من الأحكام شيء من إظهار المساوىء، بل ذلك مما يفرضه الواجب ويوجبه النصح للأُمَّة. (ز).

وهذا الدعاء الصادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله وثنائهم عليهم، لأن من سعى في أمر من الأمور فهو ساع في تحقيقه فاجتهد في طلبه متضرعاً لربه أن يتم ذلك له، وأولى من دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحققوه وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم.

ونفي الغل من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم فهم يحبون الصحابة لفضلهم وسبقهم واختصاصهم لصحبة الرسول ولإحسانهم إلى جميع الأمة لأنهم هم المبلغون جميع ما جاء به نبيهم فما وصل لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم.

(وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»)[1] فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمر وخصوصاً في هذا الأمر الخاص وأن يوقروا أصحابه ويحترمونهم، ويعتقدون أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم كما في هذا الحديث، وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

(ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية[2] **- وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل)** وقد ذكر الله

---

(١) رواه البخاري (٢١/٧) ومسلم (١٩٦٤/٤) عن أبي سعيد.

(فائدة): للحافظ ابن حجر العسقلاني جزء في تخريج هذا الحديث والكلام على ألفاظه وطرقه وأسانيده، وقد حقّقه وعلّق عليه أخونا الفاضل مشهور حسن حفظه الله ونفع به، وهو يُطبع الآن في دار عمّار - عمّان.

(٢) انظر «فتح الباري» (٤٤١/٧) للحافظ ابن حجر.

ورسوله للصحابة فضائل[1] كثيرة على الأمة فيجب على الأمة الإيمان بها وأن يحبوا الصحابة لأجلها، وقيل لصلح الحديبية: فَتْحٌ، لما ترتب عليه من المصالح والخير الكثير ودخول الكثير في الإسلام، ولهذا كان من أسلم قبل ذلك وأنفق وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده لما حصل لهم من السبق في الإسلام وقت ضعف المسلمين وكثرة الأعداء ووجود الموانع والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام.

ثم قال المصنف: **(ويقدمون المهاجرين على الأنصار)** وهذا لأن المهاجرين جمعوا الوصفين النصرة والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدم الله ذكر المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر[2]، وهذا التفضيل للجملة على الجملة لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين.

(ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3] وبأنه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[4] كما أخبر به النبي ﷺ بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة) أي: رضي الله عنهم في قوله: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ وكان عددهم يتراوح ما بين ألف وأربعمائة أو خمسمائة، فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يشهد لهم بالجنة والنجاة من النار على وجه أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله: ﴿ **وكلا وعد الله الحسنى** ﴾.

---

(١) وللإمام أحمد كتاب كبير اسمه «فضائل الصحابة» مطبوع في مجلدين بتحقيق الشيخ وصيّ الله عباس.

(٢) سورة التوبة الآيات ١٠٠ و ١١٧، وسورة الحشر: آية ٨.

(٣) كما في «صحيح البخاري» (٣٠٥/٧) و«صحيح مسلم» (١٩٤١/٤).

(٤) رواه مسلم (١٩٤٢/٤).

ولهذا قال المصنف: **(ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شَمَّاس[1] وغيرهم من الصحابة).**

وهذا من أعظم الفضائل تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة وهو من جملة براهين رسالته صلى الله عليه وسلم، فإن جميع من عينه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به رضي الله عنهم.

(ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2] وغيره[3] من أن: «خير هذه الأُمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة).

أي: والخلافة، وخلافة أحد الاثنين لم يكن إلا بعد مشاورة جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم، والقصة مشهورة في كتب التاريخ[4].

(مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهم بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، وقدم قوم علياً وتوقفوا، لكن:

---

(١) كما رواه البخاري (٤٥٦/٦) ومسلم (١١٠/١) عن أنس.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفيّة، قال: «قلت لابي - وهو عليٌّ رضي الله عنه -: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم مَن؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين».

وانظر توجيه الحافظ ابن حجر لهذا الأثر في «الفتح» (٣٣/٧ - ٣٤).

(٣) كما في «صحيح البخاري» (٣٦٥٥) عن ابن عمر.

(٤) انظر «البداية والنهاية» (١٨/٧) لابن كثير.

استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يُضَلَّلُ المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التي يُضَلَّلُ فيها: مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله).

يريد المؤلف رحمه الله أن الخلاف الكائن بين الأمة على وجهين:

أحدهما: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية التي إذا إجتهد فيها الحاكم من قاض ومفت ومصنف ومعلم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد[1].

الوجه الثاني: الخلاف في المسائل الأصولية كمسائل صفات الباري والقَدَرِ والإيمان ونحوها، وهذا يُضَلَّلُ فيها المخالفون لما دل عليه الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فمسألة الخلافة وتقديم علي على عثمان فيها يعد من البدع التي من اعتقدها فهو في الغالب متشيع، وقد أزْرَى بالمهاجرين والأنصار كما قال ذلك غير واحد من السلف.

وأما التفضيل بينهما فإنها مسألة خفيفة من جنس مسائل الخلاف في المسائل الإجتهادية.

---

(١) كما صح عن النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**». رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص.

(ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية محمد ﷺ حيث قال: يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»[1] وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفوا بني هاشم فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[2])
فمحبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة من وجوه:

منها أولا: لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم.

ومنها لما يتميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصالهم بنسبه.

ومنها لما حث عليه ورغب فيه.

ولما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ وقد قال: «**إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[3] فهو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه.

(وَيتَوَلَّون أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة أمّ أكثر أولاده).

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٣/٤) عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه - بهذا اللفظ - ابن أبي شيبة (١٠٩/١٢) وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦) من طريق سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، عن العباس.

ورجاله ثقات لكنه منقطع.

ورواه متصلا طِرَادٌ الزَّينبيُّ في «أماليه» (لوحة: ٢/٨٨) من طريق سفيان عن أبيه، عن أبي الضحى عن ابن عباس عن العباس.

وهذا سند صحيح.

(٣) رواه مسلم (١٧٨٢/٤).

فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها إلا إبراهيم فإنه من سَرِيّتهِ مارية القبطية.

(وأوّل من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة الطيبة، والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[1].

وعائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ وقد اختلف العلماء أيهما أفضل، والتحقيق أن لكل واحدة منهن من الفضائل والخصائص ما ليس للأخرى، فلخديجة من السبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول الأمر وتثبيته وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة رضي الله عنهما.

(ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل).

وأول من سمي الروافض بهذا اللقب زيد بن علي الذي خرج في أوائل دولة بني العباس وبايعه كثير من الشيعة، ولما ناظروه في أبي بكر وعمر وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فأبى رحمه الله تفرقوا عنه فقال: رفضتموني، فمن يومئذ قيل لهم: « الرافضة »[2] وكانوا فرقاً كثيرة، منهم الغالية ومنهم من هم دون ذلك، وفرقهم معروفة، وأما النواصب فهم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي ﷺ وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة لأسباب وأمور سياسية معروفة، ومن زمن طويل ليس لهم وجود والحمد لله.

---

(١) رواه البخاري (١٠٦/٧) ومسلم (١٨٩٥/٤).

(٢) راجع « البداية والنهاية » (٣٢٧/٩) لابن كثير.

ثم قال المصنف رحمه الله: (ويمسكون عما شَجَر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد وَنَقَصَ وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحوا السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون[1] وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم)[2]:

أي: وهذه الأمور إذا قوبلت بالمساوىء على فرض أن هناك مساوىء اضمحلت تلك المساوىء معها، ولا يقاربهم أحد في شيء من ذلك رضي الله عنهم.

(ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته. أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته صلى الله عليه وسلم. او ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر، والخطأ مغفور؟!

ثم إن القَدْر الذي يُنْكَرُ من فعل بعضهم قليلٌ نَزْرٌ مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله

---

(١) رواه البخاري (٥/١٩٠) ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين وفي الباب عن عدة من الصحابة.

(٢) تقدم تخريجه.

والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما مَنَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله).

وهذا كلام نفيس في غاية التحقيق والإبداع ولا زيادة عليه في إقامة البرهان على كمال فضل الصحابة رضي الله عنهم لا يحتاج إلى شرح أو بيان.

١٠ - فصل

[كرامات الأولياء]

قال المصنف رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يُجْري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سلف الأمة في سورة الكهف وغيرها[١] وعن صدر هذه الأمة من الصحابة وسائر قرون الأمة وهي موجودة[٢] فيها إلى يوم القيامة)[٣] وتواترت نصوص الكتاب والسنة والوقائع قديماً وحديثاً على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لأنبيائه.

---

(١) يشير رحمه الله إلى قصة ذي القرنين وغيرها.

(٢) وليس من الكرامات ما يفعله مشعوذو الصوفية من ضرب الحديد في أجسامهم، وإحراقها بالنار ونحو ذلك.

وانظر « رسالة مفتوحة إلى دعاة التصوف وأدعياء الكرامة » لعبد الرزاق بن مرشد اليافي.

(٣) الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية الخارقة للعادة على يد السحرة والمشعوذين: أن المعجزة هي ما يُجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد ويختبرون بها ويُخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم به =

= ويؤيدهم بها سبحانه كانشقاق القمر ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة لرسولٍ على الاطلاق ولحنين الجذع ونبوع الماء من بين أصابعه[1].
وغير ذلك من المعجزات الكثيرة.

وأما الكرامة فهي ما يُجري الله على ايدي أوليائه المؤمنين من خوارق العادات كالعلم والقدرة وغير ذلك كالظُلَّةُ التي وقعت على أسيد بن الحُضير حين قراءته القرآن[2]. وكإضاءة النور لعباد بن بشر وأسيد بن حضير حين انصرفا من عند النبي ﷺ فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف سوطه[3].

وشرط كونها كرامة أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة مستقيماً على الإيمان ومتابعة الشريعة فإن كان خلاف ذلك فالجاري على يده من الخوارق يكون من الأحوال الشيطانية.

ثم ليعلم أن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم لأن الكرامة إنما تقع لأسباب:

منها: تقوية إيمان العبد وتثبيته، ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئاً من الكرامات لقوة إيمانهم وكمال يقينهم.

ومنها: إقامة الحجة على العدو كما حصل لخالد لما أكل السم وكان قد حاصر حصناً فامتنعوا عليه حتى يأكله فأكله وفتح الحصن[4]، ومثل ذلك ما جرى لأبي مسلم =

---

(١) وهي مروية بأسانيد صحيحة في كثير من كتب السنة، فانظر «دلائل النبوة» للبيهقي، وغيره.
(٢) رواه مسلم (٧٩٦).
(٣) هو في «صحيح البخاري» (٣٨٠٥) دون تسميتهما.
وأخرجه أحمد (١٣٨/٣) والحاكم (٢٨٨/٣) وابن الأثير في «أسد الغابة» (١٥١/٣) وفيه تسميتهما. وسنده صحيح.
(٤) أورده الهيثمي في «المجمع» (٣٥٠/٩) وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل، ورجالها ثقات إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد، والله أعلم».
وانظر «المطالب العالية» (٤٠٤٣).

وكرامتهم في الحقيقة تفيد ثلاث قضايا:

أعظمها الدلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته وكما أن لله سنناً وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقدراً فإن الله أيضاً سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم. فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله والتقدير والتدبير كله لله، وأن لله سنناً لا يعلمها بشر ولا ملك، فمن ذلك قصة أصحاب الكهف والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة العظيمة وقيض أسباباً متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم كما ذكر الله في قصتهم.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران وأنه

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

= الخراساني لما ألقاه الأسود العنسي في النار فأنجاه الله من ذلك لحاجته إلى تلك الكرامة[1]، وكقصة أمِّ أيمن لما خرجت مهاجرة واشتد بها العطش سمعت حساً من فوقها فرفعت رأسها فإذا هي بدلو من ماء فشربت منها ثم رُفعت[2].

وقد تكون الكرامة ابتلاء فيسعد بها قوم ويشقى بها آخرون وقد يسعد بها صاحبها إن شكر وقد يهلك إن أعْجِبَ ولم يستقم (ز).

---

(١) رواه ابن عساكر (٤٩٢ - فما بعد - جزء عبدالله) من عدة طرق، وهو خبر صحيح.
قال ابن كثير (٢٦٧/٦) وهذه الرواية تُحَقِّقُ أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة.

(٢) أخرجه ابن سعد وابن السكن من طريقين. وهو صحيح، كما في «الإصابة» (١٧٨/١٣).

وكذلك حملها وولادتها بعيسى على ذلك الوصف الذي ذكر الله، وكلامه في المهد هذا فيه كرامة لمريم ومعجزة لعيسى عليه السلام.

وكذلك هبته تعالى الولد لابراهيم من سارة وهي عجوز عقيم على كبره، كما وهب لزكريا يحيى على كبره وعقم زوجته، وهذه معجزة للنبي وكرامة لزوجته.

وقد أطال المؤلف النفس وبسط الكلام في هذا الموضوع في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[1] وذكر قصصاً كثيرة متوافرة تدل على هذه القضية.

القضية الثانية: أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيراً كثيراً من جملتها الكرامات.

القضية الثالثة: أن كرامات الأولياء هي من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ وهي على قول بعض المفسرين: كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات، ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في أي وقت وفي أي زمن وقد رأى الناس منها العجائب والأمور الكثيرة، ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسقة وليس غريباً عليهم فإنه فرع عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين ولقضائه وقدره.

وقد أنكرها أيضاً طائفة من أهل الكلام ظناً منهم أن في إثباتها إبطالاً لمعجـزات الأنبياء وهذا وهم باطل أبطله المؤلف في كتابه

---

(١) وهو مطبوع متداول.

« النبوات »[1] وغيره من كتبه.

فأهل السنة والجماعة يعترفون بكرامات الله لإوليائه[2] إجمالا وتفصيلا، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وكما تحقق وقوعه. ولكن قد أدخل الناس في الكرامات أموراً كثيرة اخترعوها وافتروها وخدعوا بها العوام والسذج من الناس وأوهموهم بأنها من الكرامات وليست إلا قسماً من الخرافات والشعوذات.

وأهل السنة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والأكاذيب المفتراة، وأعرف بالطرق التي يتبين بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين.

١١ - فصل

[أهل السنة]

قال المصنف رحمه الله:

(ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار[3] رسول الله ظاهراً وباطناً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) وهو مطبوع أيضاً.

(٢) كما قال الناظم:

واثبتن للأولياء كرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

(٣) مراد المصنف بذلك اتباع ما أُثِر عن النبيﷺ من قول أو عمل أو تقرير وذلك هو اتباع السنة والتمسك بها.
وأوجه السنة ثلاثة:
قول وعمل وتقرير، وأما آثاره الحسية كموضع جلوسه وما هو عليه وما وطئه بقدمه الشريفة أو استند إليه أو اضطجع عليه ونحو ذلك فلا يشرع اتباعه في ذلك. بل تَتَبُّعُ هذه الآثار من وسائل الغلو فيه.
وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على ابن عمر ذلك، وقطع عمر الشجرة التي بويع النبي=

والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا

= تحتها لما علم أن الناس يقصدونها خوفاً من الفتنة[1]، ولما بلغه أن ناساً يقصدون مسجداً صلى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر وقال ما معناه: إنما أهلك من كان قبلكم مثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يقصدها »[2].

وأما ما صلى فيه صلوات التشريع فالصلاة فيه مشروعة كمسجده صلى الله عليه وسلم والكعبة ومسجد قباء والموضع الذي صلى فيه في بيت عثمان كما طَلَبَ منه ذلك ليتخذه مصلى فأجابه صلى الله عليه وسلم على ذلك[3] وهكذا التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وريقه وعرقه وما ماس جده فكله لا بأس به، لأن السنة قد صحت بذلك، وقد قسم صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه[4] لما قد جعل الله فيه من البركة، وليس هذا من الغلو الممنوع، وإنما الغلو الممنوع هو أن يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز أو يصرف له شيئاً من العبادة وأما التبرك بغيره صلى الله عليه وسلم فالصحيح منعه لأمرين:

أحدهما: أن غيره لا يقاس به لما جعل الله فيه من الخير والبركة بخلاف غيره فلا يتحقق فيه ذلك.

الأمر الثاني: أن ذلك ربما يوقع في الغلو وأنواع الشرك، فوجب سد الذرائع بالمنع من ذلك وإنما جاز في حق النبي لمجيء النص به.

وهناك أمر ثالث أيضاً: وهو أن الصحابة لم يفعلوا مثل ذلك مع غير النبي ﷺ لا مع الصديق ولا مع عمر ولا مع غيرهما، ولو كان ذلك سائغاً أو قربة لسبقونا إليه ولم يجمعوا على تركه، فلما تركوه علم أن الحق ترك ذلك وعدم إلحاق غير النبي به في ذلك. (ز)

---

(١) رواه ابن وضاح (ص ٤٢) مُعضلا.
وانظر «إغاثة اللهفان» (١/٢٠٥، ٢٠٧) لابن القيم.

(٢) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٤١ - ٤٢) وسعيد بن منصور في «سننه» كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٨٦) - من طريق جرير عن الأعمش عن المعرور بن سويد به.
وهذا سند صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (رقم: ٣٣).

(٤) رواه مسلم (١٣٠٥) (٣٢٤).

عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[1]، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فيقدمون هديه على هدي كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ «الجماعة» قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين.

والاجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين، وهم يُزَيِّنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تَعَلُّق بالدين.

والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة).

لَمَّا ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأصول المعينة ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم: أصوله وفروعه، وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النافعة للكتاب والسنة واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلماً واتباعاً للكتاب والسنة وهم الصحابة رضي الله عنهم عموماً والخلفاء الراشدون خصوصاً فسلكوا إلى الله ذلك الطريق مستصحبين هذه الأصول الجليلة وما جاءهم مما قاله الناس أو ذهبوا إليه من المقالات وزنوه بمعيار الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة فاستقامت طريقتهم وسلموا من بدع الأقوال المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات كما سلموا من بدع الأعمال، فلم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد «(١٢٦/٤) وغيره.
وقد خرجته مفصلا في تعليقي على «جزء اتباع السنن واجتناب البدع» (رقم: ٢) للضياء المقدسي.

١٢ - فصل

[قضايا كلية]

ثم قال المصنف رحمه الله:

(ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة).

أي باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبعاً للقدرة والمصلحة ويسلكون أقرب طريق يحصل به المقصود بالرفق والسهولة متقربين بنصيحة الخلق إلى الله قاصدين نفع الخلق وإيصالهم إلى كل خير وكفهم عن كل شر ساعين في ذلك حسب وسعهم.

(ويرون إقامة الحج والجهاد والجُمَعِ مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً).

وذلك لأن غرضهم الوحيد تحصيل المصالح وتكملتها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه قولاً وفعلا فيشاركون الولاة الظلمة في الخير ويفارقونهم في الشر ويحرصون على الاتفاق وينهون عن الافتراق **(ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة).**

(ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[١] وشبك بين أصابعه، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[٢]

---

(١) رواه البخاري (٥/٩٩) ومسلم (٤/١٩٩٩).

(٢) رواه البخاري (١٠/٤٣٨) ومسلم (٤/١٩٩٩).

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرجاء والرضى بِمَرِّ القضاء وَيَدْعُون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[1] ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك[2] وتعفو عن من ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها[3]،وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بُعث به محمدﷺ، لكن: لما أخبر النبيﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم

---

(١) رواه الترمذي «(١١٧٢) وأبو داود (٤٦٨٢) وأحمد (٢/٢٥٠، ٤٧٠) وابن أبي شيبة (٨/٥١٥) وابن حبان (١٣١١) والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٩) وأبو نعيم (٩/٢٤٨) والحاكم (١/٣) والخطيب (٧/١٣) والقضاعي (١٢٩١) والدارمي (٢/٣٢٣) من طرق عن أبي هريرة.
وأسانيده حسنة وصحيحة.
وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) وفي ذلك أمر نبوي صحيح ثابت.
انظر تخريجه «الأربعين في الدعوة والدعاة» (رقم: ٣٢).

(٣) كما رواه الحاكم (١/٤٨) وأبو نعيم (٣/٢٥٥) عن سهل بن سعد.
وسنده صحيح.

وأصحابي»[1] صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشَّوْبِ هم أهل السنّة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وأولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال[2] وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»[3] فنسأل الله أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب).

وهذا كلام جامع واضح نادر جمعه في موضع واحد لا يحتاج إلى شرح ولا إلى مزيد من الإيضاح.

---

(١) وهو حديث صحيح بلفظيه، له طرق وشواهد، ولقد استوعبت الكلام عليها - ولله الحمد - في جزء مفرد سميته «كشف الغمة عن حديث افتراق الأمة» يسر الله إتمامه ونشره بمنه سبحانه وكرمه.
وانظر «جزء اتباع السنن» (رقم: ٩) و«الأربعين الآجرية» (رقم: ١٣) كلاهما بتحقيقي.

(٢) هو لفظ - عند أهل السنة - يقال للعبادْ والصالحين، أما عند الصوفية والمبتدعين فلهم فيه فلسفات شتى منها أنهم سُمُّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر (!).
ولم يصح في الإبدال حديث كما صرح العلامة ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٣٦) وأشار إليه شيخنا في «الضعيفة» (٣/٦٦٩).

(٣) وهو حديث متواتر كما نَصَّص عليه السيوطي في «قطف الأزهار المتناثرة» (رقم: ٨١) وتابعه الكتاني في «نظم المتناثر» (رقم: ١٤٥).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم..

وقال ذلك وكتبه معلقه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

وتم الفراغ منه في ٨ جماد الأول عام ١٣٦٩ هجرية[1].

---

(١) تم الفراغ من ضبط نصه، والتعليق عليه، وتخريج أحاديثه على وفق الجهد والطاقة بمجالس كثيرة في شهور عدة - لا على التوالي - آخرها ضحى يوم السبت لتسع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأربع مئة وألف من هجرة النبي ﷺ.
قاله بفمه ورقمه بقلمه: أبو الحارث الحلبي الأثري عفا الله عنه ووقاه شر نفسه. آمين.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

يصدر قريباً عن دار ابن القيم

١ ـ الفتح المبين
في أخطاء المصلين

تأليف مشهور حسن سلمان

٢ ـ الطهــور

لأبي عبيد القاسم بن سلّام
تحقيق مشهور حسن سلمان

٣ ـ معارج القبول للحكمي

تخريج عمر محمود ابو عمر